

# إضاءات في طريق العلم

إعداد  
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

الدرر السنية

www.dorar.net



إِصْنَاتٌ فِي طَرِيقِ الْعَمَلِ

مؤسسة الدرر السننية للنشر - ١٤٣١هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطننة أثناء النشر  
القسم العلمني بمؤسسة الدرر السننية  
إضاءات في طريق العلم / القسم العلمني بمؤسسة الدرر السننية -  
ط ١، الظهران، ١٤٣١هـ  
١٥٢ ص، ١٧ × ٢٤ سم  
ردمك: ٠٠ - ٤٢٣٤ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨  
١- الإسلام ٢- العلم أ- العنوان  
ديوي ٢١٩.٧ ١٤٣ / ٧٧٦  
رقم الإيداع: ١٤٣١١ / ٧٧٦

## جميع الحقوق محفوظة

### الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

مؤسسة الدرر السننية - المملكة العربية السعودية  
ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ - جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠  
تلفاكس: ٠٣٨٦٨٠١٢٣ بريد إلكتروني [nashr@dorar.net](mailto:nashr@dorar.net)

الدرر السننية  
[www.dorar.net](http://www.dorar.net)

# إضاءات في طريق العلم

إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدور السنّية



يا سائراً في رِكابِ العِلْمِ مُجْتَهِداً  
إِلَيْكَ مِنْ حِكْمِ الْأَخْيَارِ مُقْتَبِسٌ  
إِضَاءَةً فِي طَرِيقِ العِلْمِ مِنْ (دُرِّ)  
يَحْدُوكَ عَزْمٌ إِلَى تَحْصِيلِ غَايَاتِ  
فَلْتَسْتَنْرِ مِنْ هُدَاهُمْ بِالْإِضَاءَاتِ  
سَنِيَّةٍ تَرْتَجِي رَبَّ الْبَرِّيَّاتِ

## مقدمة

الحمدُ لله الذي أنزلَ على عبده الكتابَ؛ ليخرجَ الناسَ بإذنه من الظلماتِ إلى النورِ، والصلاةِ والسلامِ على من أضاءَ اللهُ تعالى بهِ دربَ الهدى الموصلِ إلى دارِ السُّرورِ، ومَنْ شقَّ سبحانه بفجره ليلَ الجهلِ، وأبانَ طرائقَ السُّرورِ. أمَّا بعد:

فإنَّه لا يخفى على أحدٍ ما جاءَ في كتابِ اللهِ العظيمِ، وصحيحِ السنَّةِ، عن فضلِ العلمِ، وشرفِ أهلهِ، والحثِّ على طلبه. والنصوصُ الواردةُ في ذلك، أكثرُ من أن تُحصَرَ، وأشهرُ من أن تُذكرَ، وقد ذكرنا من أقوالِ أهلِ العلمِ بُدأً بسيرةً تقي بالمطلوبِ إن شاء اللهُ تجدها في ثنايا هذا الكتابِ.

والداعي إلى هذا الكتابِ عدَّةُ أمورٍ:

- افتقادُ المنهجِ الصَّحيحِ في التعلُّمِ.
- قصورُ مناهجِ التعليمِ.
- ضعفُ التحصيلِ العلميِّ.
- فتورُ الهممِ في طلبِ العلمِ.
- الانفصامُ بين العلمِ والعملِ.

ومساهمةً منا في تصحيحِ المسيرةِ، وإيضاحِ الطريقِ، وإضاءةِ الدربِ، أحببنا أن نجمعَ من توجيهاتِ السلفِ وقصصهم، وأقوالِ العلماءِ وتوجيهاتهم من المتقدمين والمعاصرين، ما يضع المتعلم على الطريقِ الصحيحِ..

فجاء هذا الكتاب دُرراً سنِّيَّةً، وغُرراً بَهِيَّةً من عيونِ كِلامِ السَّلَفِ ، تضيءُ  
لمتَمَسِّ العِلْمِ طَريقَه، انْتَقِيَتْ من بينِ عِدَدٍ مِنَ الكُتُبِ، والمَحاضِرَاتِ  
والبَحوثِ، والمَقالاتِ والدروسِ المَفْرَغَةِ. وَجُمِعَتْ تحتَ اسمِ (إِضَاءَاتِ فِي  
طَريقِ العِلْمِ) اشتملتْ على إِضَاءَاتِ فِي فَضْلِ العِلْمِ وشَرَفِ أَهْلِهِ،  
وَإِضَاءَاتِ تَرْبَوِيَّةٍ، وَإِضَاءَاتِ فِي طَريقِ العِلْمِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، تَعَلُّماً  
وَتَعْلِيماً.

وأصلُ هذا الكتابِ - في غالِبِه - عِبارةٌ عنِ رِسائِلٍ، كانتِ تُرسلُ  
لمشترَكِي جِوَالِ الدُّرْرِ السَّنِّيَّةِ، وقد قامَ الفَريقُ العِلْمِيُّ بمؤَسَّسَةِ الدُّرْرِ  
السَّنِّيَّةِ، بِتَجمِيعِ تلكَ الرِّسائِلِ، وتَبوِيهِها، وترتِيبِها، وسدِّ الخَلَلِ الواقِعِ فِيها،  
وَإِكمالِ ما نَقَصَ مِنْها، والزِّيادَةَ عَلَيْها.  
ولم يَكُنِ المرادُ مِنْ هذا الكِتابِ الجَمعَ والاسْتِقصاءَ، فَحَسبُنَا هذا القَدْرَ  
الآنَ، واسْتِقصاءَ هذا البابِ مِمَّا يَقْصُرُ عَنْهُ الزَّمانُ.  
هذا والخَلَلُ وارِدٌ، والنَقْصُ طارِئٌ، وبلوغُ الكِمالِ مُحالٌ، وشأنُ الكِرامِ  
الأخيارِ، التماسُ الأعذارِ.  
واللَّهُ نَسألُ أنْ يَنفَعَ مَقْتَنِيَه بِما فِيهَ..

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنّية

## أولاً: إضاءات في فضل العلم وأهله

### ١- فضل العلم وشرف أهله:

(كان عطاء بن أبي رباح عبداً لامرأة من مكّة، أسود، أعور، ثم عمي، أفطس، أشل، أعرج.

جاءه سليمان بن عبد الملك، أمير المؤمنين، هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يُصلي، فلما صلى انفتل إليهم، وما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حوّل ففاه إليهم، ثم قال سليمان لابنائه: قوماً، فقاما، فقال: (يا بني، لا تبنيا في طلب العلم؛ فإنني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود)<sup>(١)</sup>.

وتفقه أبو بكر الكاساني على علاء الدين السمرقندي، الذي زوجته ابنته فاطمة، الفقيهة، العاملة، قيل: (إن سبب تزويجه بابنة شيخه؛ أنّها كانت من حسان النساء؛ وكانت قد حفظت التحفة تصنيف والدها، وطلبها جماعة من ملوك بلاد الروم، فامتنع والدها، فجاء الكاساني، ولزم والدها، واشتغل عليه، وبرع في علمي الأصول، والفروع، وصنّف كتاب البدائع وهو شرح للتحفة، وعرضه على شيخه فازداد فرحاً به، وزوجه ابنته، وجعل مهرها منه ذلك، فقال الفقهاء في عصره: شرح تحفته، وزوجه ابنته)<sup>(٢)</sup>.

(١) (تاريخ دمشق، لابن عساكر) (٣٧٥/٤٠).

(٢) (الجواهر المضية، للقرشي) (٢٦/٤).



(رأى الرياشيُّ سقاءً على رقبته قربةً، فقال: لولا العلمُ لكنتُ مثلَ هذا. وكان أبوه عبداً سقاءً)<sup>(١)</sup>.

وقال أبو الأسود: (ليس شيءٌ أعزَّ من العلم، وذلك أن الملوكَ حُكَّامٌ على الناس، والعلماءُ حُكَّامٌ على الملوكِ)<sup>(٢)</sup>.

وقال حمدانُ الأصفهانيُّ: (كنتُ عندَ شريكٍ، فأثاه بعضُ ولدِ المهديِّ، فاستندَ إلى الحائطِ، فسأله عن حديثٍ، فلم يلتفتْ إليه، وأقبلَ علينا، ثم عادَ، فعادَ بمثلِ ذلك، فقالوا: أتستخفُّ بأولادِ الخلفاءِ؟ قال: لا، ولكنَّ العلمَ أجلُّ عندَ أهله من أن يُضيِّعوه. قال: فجثا على رُكبتَيْه، ثمَّ سأله، فقال شريكٌ: هكذا يُطلبُ العلمُ)<sup>(٣)</sup>.

رُوي عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه أنَّه قال: (كفَى بالعلمِ شرفاً أن يدَّعيه من لا يُحسِنُه، ويفرَحُ به إذا نُسبَ إليه، وكفَى بالجهلِ ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه)<sup>(٤)</sup>.

قال ابنُ القيم: (كلُّ صفةٍ مدَح اللهُ بها العبدَ في القرآنِ فهي ثمرةُ العلمِ ونتيجتهُ، وكلُّ ذمٍّ ذمُّه فهو ثمرةُ الجهلِ ونتيجتهُ)<sup>(٥)</sup>.

(١) (الحث على طلب العلم، للعسكري) (ص ٥١ - ٥٢).

(٢) (الحث على طلب العلم) (ص ٥٣).

(٣) (الحث على طلب العلم) (ص ٨٥).

(٤) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص ١٠).

(٥) (مفتاح دار السعادة لابن القيم) (١/٣٧٩).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ۞ فَلَا تُطْعِ  
الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿ [الفرقان: ٥٢، ٥١].

قال ابن القيم معلقاً - وتأمل كلامه - : (فهذا جهادٌ لهم بالقرآن، وهو أكبرُ الجهادين، وهو جهادُ المنافقين أيضاً، فإنَّ المنافقين لم يكونوا يُقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يُقاتلون عدوَّهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]. ومعلومٌ أنَّ جهادَ المنافقين بالحجَّة والقرآن.

والمقصودُ أنَّ سبيلَ الله هي الجهادُ وطلبُ العلم، ودعوةُ الخلق به إلى الله (...)<sup>(١)</sup>.

## ٢ - حلاوة العلم ولذته:

(كتب عبدُالمملك بن مروان إلى الحجاج: انظر لي رجلاً، عالماً بالحلال والحرام، عارفاً بأشعار العرب، وأخبارها، أستأنسُ به، وأصيبُ عنده معرفةً. فوجه إليه الشعبي، وكان أجمع أهل زمانه.

قال الشعبي: فلم ألقَ والياً، ولا سُوقَةً<sup>(٢)</sup>، إلا وهو يحتاجُ إليّ، ولا أحتاجُ إليه، ما خلا عبدُالمملك، ما أنشدته شعراً، ولا حدَّثته حديثاً إلا وهو يزيدني فيه، وكنتُ ربَّما حدَّثته وفي يده اللقمةُ فيمسكها، فأقول: يا أمير

(١) (مفتاح دار السعادة، لابن القيم) (١/٢٧١، ٢٧٢).

(٢) السُّوقَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ خِلاَفُ الْمَلِكِ (المصباح المنير) (س و ق) .

المؤمنين، أسعِ طعامك، فإنَّ الحديثَ من ورائه، فيقول: ما تُحدِّثني به أوقع بقلبي من كلِّ لذةٍ، وأحلى من كلِّ فائدةٍ<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ القيم: (وحدَّثني شيخنا- يعني ابنَ تيمية- قال: ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطبيبُ: إنَّ مطالعتك وكلامك في العلمِ يزيدُ المرضَ. فقلتُ له: لا أصبرُ على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليستِ النفسُ إذا فرحت، وسرَّت، قويتِ الطبيعةُ، فدفعَتِ المرضَ؟ فقال: بلى. فقلتُ له: فإنَّ نفسي تُسرُّ بالعلمِ فتَقوى به الطبيعةُ، فأجدُ راحةً. فقال: هذا خارجٌ عن علاجنا... اهـ)<sup>(٢)</sup>.



(١) (معجم الأدياء، لياقوت الحموي) (١/٣٣).

(٢) (روضة المحبين، لابن القيم) (ص ٧٠).

## ثانياً: إضاءات تربوية

### ١- أخلص، تُخلص:

(الإخلاصُ في طلبِ العلمِ شرطٌ تتابعيٌّ، لا ابتدائيٌّ، ومعنى ذلك أن طالبَ العلمِ يحرصُ على متابعةِ الإخلاصِ في نفسه، ولا يمتنعُ عن الطلبِ بدعوى أنه لم يتحققْ لديه الإخلاصُ.

ومعنى الإخلاصِ فسره بعضُ أهلِ العلمِ، فقال ابنُ جماعة: هو حُسنُ النيةِ في طلبِ العلمِ، بأن يقصدَ به وجهَ الله تعالى، والعملَ به، وإحياءَ الشريعةِ، وتنويرَ قلبه، وتجليه باطنه، والقربَ من الله تعالى يومَ القيامةِ، والتعرضَ لما أعدَّ لأهله من رضوانه، وعظيمِ فضله. قال سفيانُ الثوريُّ: ما عالجْتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيَّتِي<sup>(١)</sup>.

قال ابن حِجَّة - بكسرِ الحاءِ - الحمويُّ، ردّاً على زوجته:

(وقائلة: أنفقتَ في الكُتُبِ ما حوتَ يدَاكَ مِنَ الأموالِ، قلتُ: دَعِيي لِعَلِّي أرى فيها كتاباً يَدُلُّني لأخذِ كتابي آمناً يَمِينِي)<sup>(٢)</sup>

قال هشامُ الدَّستوائيُّ: (والله ما أستطيعُ أن أقولَ: إنِّي ذهبتُ يوماً قطُّ أطلبُ الحديثَ أريدُ به وجهَ الله عزَّ وجلَّ).

علَّق عليه الذهبيُّ بقوله: (والله ولا أنا، فقد كان السلفُ يطلبون

(١) (التأصيل في طلب العلم، لبازمول).

(٢) (الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، ليوسف بن الحسن) (ص ٤٥).

العلم لله، فنبأوا، وصاروا أئمةً يُقتدى بهم، وطلبه قومٌ منهم أولاً، لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم فجرَّهم العلمُ إلى الإخلاصِ في أثناءِ الطريقِ، كما قال مجاهدٌ وغيره: طلبنا هذا العلمَ، وما لنا فيه كبيرُ نيةٍ، ثم رزقَ اللهُ النيةَ بعدُ. وبعضُهم يقولُ: طلبنا هذا العلمَ لغيرِ الله، فأبى العلمُ أن يكونَ إلا لله. فهذا أيضاً حسنٌ، ثم نشره بنيةٍ صالحةٍ. وقومٌ طلبوه بنيةٍ فاسدةٍ لأجلِ الدنيا، وليُثنى عليهم، فلهم ما نَوَّوا<sup>(١)</sup>.

وقال الشافعيُّ: (وددتُ أنَّ الناسَ تعلَّموا هذا العلمَ - يعني كتبه - على أن لا يُنسبَ إليَّ منه شيءٌ)<sup>(٢)</sup>.

(وقال حرْملةٌ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: وددتُ أن كلَّ علمٍ يعلمُه الناسُ، أُوْجِرُ عليه، ولا يحمَدوني.

وقال: ما ناظرتُ أحداً قطُّ إلا على النصيحة)<sup>(٣)</sup>.

جاء في ترجمةِ ابنِ جُرَيْجٍ أن الوليدَ بنَ مُسلمٍ قال: (سألتُ الأوزاعيَّ وسعيدَ بنَ عبدِ العزيزِ وابنَ جُرَيْجٍ: لِمَ طلبتُم العلمَ؟ كلُّهم يقولُ: لِنَفْسِي. غيرَ ابنِ جُرَيْجٍ فإنَّه قال: طلبتُه للناسِ).

قال الذهبيُّ تعليقا على هذا الخبرِ: (قلتُ: ما أحسنَ الصدقِ! واليومَ تسألُ الفقيهَ الغيِّ: لِمَ طلبتَ العلمَ؟ فيأدرُ ويقولُ: طلبتُه لله. ويكذبُ، إنَّما طلبه للدُّنيا، ويا قلةَ ما عَرَفَ منه)<sup>(١)</sup>.

(١) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (١٥٢/٧).

(٢) (المصدر السابق) (١٨/١٩).

(٣) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (١١٨/٩).

وحكى الذهبي عن أبي الحسن القطان قوله: (أُصِبتُ ببصري، وأظنُّ أنّي عُوِّيتُ بكثرةِ كلامي أيامَ الرّحلة).

ثم قال الذهبي معلقاً: (صدق والله، فقد كانوا مع حسنِ القصدِ، وصحةِ النيةِ غالباً يخافون من الكلام، وإظهارِ المعرفة، واليومَ يُكثرون الكلامَ، مع نقصِ العلمِ، وسوءِ القصدِ، ثمَّ إنَّ اللهَ يفضحُهم، ويلوِّحُ جهلُهم، وهواهم، واضطربهم فيما علموه، فنسألُ اللهَ التوفيقَ والإخلاصَ)<sup>(٢)</sup>.

هذا في زمانه، فكيفَ في زماننا!

## ٢- التزكية أولاً:

قال أبو العباس بن قدامة: (فأمّا علمُ المعاملة، وهو علمُ أحوالِ القلبِ، كالخوفِ، والرجاءِ، والرّضا، والصدقِ، والإخلاصِ، وغيرِ ذلك، فهذا العلمُ ارتفعَ به كبارُ العلماءِ، وبتحقيقه اشتهرتْ أذكأرهم كسفيانُ، وأبي حنيفةَ، ومالكُ، والشافعيُّ، وأحمدُ، وإنما انحطتْ رتبةُ المسمَّينَ بالفقهاءِ والعلماءِ عن تلكِ المقاماتِ؛ لتشاغلهم بصورِ العلمِ، من غيرِ أخذٍ على النفسِ أن تبلغَ إلى حقائقه، وتعملَ بخفاياه)<sup>(٣)</sup>.

(١) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٦/٣٢٨).

(٢) (المصدر السابق) (١٥/٤٦٤، ٤٦٥).

(٣) (مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة) (ص٢٧).

### ٣- صدق التوجه إلى الله:

قال ابن عبد الهادي: (قال ابن تيمية: ربّما طالعتُ على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثمّ أسألُ الله الفهم، وأقول: يا معلّم آدم وإبراهيم، علّمني. وكنتُ أذهبُ إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغُ وجهي في التراب، وأسألُ الله تعالى وأقول: يا معلّم إبراهيم فهّمّني. ويذكرُ قصةَ معاذِ بنِ جبل، وقوله لمالكِ ابنِ يخامرَ لما بكى عند موتِه، وقال: إنّي لا أبكي على دُنيا كنتُ أُصيّبُها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان اللذين كنتُ أتعلّمُهُما منك. فقال: إنَّ العلمَ والإيمانَ مكانهُما، من ابتغاهما وجدَهُما، فاطلبِ العلمَ عندَ أربعةٍ، فإن أعياك العلمَ عندَ هؤلاء، فليس هو في الأرضِ فاطلبُهُ من معلّمِ إبراهيم<sup>(١)</sup>).

### ٤- العمل بالعلم:

(قال الشافعي: ليس العلمُ ما حُفِظ، العلمُ ما نفع. ومن ذلك دوامُ السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع لله والخضوع. ومما كتّب مالكٌ إلى الرّشيد: إذا علّمتَ علماً، فليَرِ عليكِ علمُه، وسكينته، وسمته، ووقاره، وحلمه؛ لقوله صلّى الله عليه وسلّم: ((العلماءُ ورثةُ الأنبياء))<sup>(٢)</sup>).

(١) (العقود الدرية، لابن عبد الهادي) (ص ٢٥، ٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣). وقال الزيلعي في

(تخريج الكشاف) (٧/٣): له طريق سالمة من الضعف والاضطراب وطريق آخر بإسناد جيد.

وقال ابن حجر في (فتح الباري) (١/١٩٢): إسناده مضطرب وله شواهد يتقوى بها.

وقال عمرُ رضي اللهُ عنه: تعلّموا العلمَ، وتعلّموا له السكينةَ والوقارَ.

وعن السلفِ: حقُّ على العالمِ أن يتواضعَ لله، في سرّه، وعلايته، ويحترسَ من نفسه، ويقفَ على ما أشكلَ عليه<sup>(١)</sup>.

قال أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ:

(مَن عرَفَ الشرعَ كما ينبغي، وعلمَ حالةَ الرسولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلّمَ، وأحوالَ الصحابةِ، وأكابرَ العلماءِ؛ عليمٌ أن أكثرَ الناسِ على غيرِ الجادةِ، وإنّما يمشون مع العادةِ، يتزاورون فيغتابُ بعضهم بعضاً، ويطلبُ كلُّ واحدٍ منهم عورةَ أخيه، ويحسدهُ إن كانت نعمةً، ويشتمُّ به إن كانت مصيبةً، ويتكبرُّ عليه إن نصَحَ له، ويخادعهُ لتحصيلِ شيءٍ من الدنيا، ويأخذُ عليه العثراتِ إن أمكن، هذا كلُّه يجري بينَ المنتمين إلى الزُّهدِ لا الرِّعاعِ.

فالأولى بمن عرف الله سبحانه، وعرف الشرعَ، وسيرَ السلفِ الصالحينَ، الانقطاعُ عن الكلِّ<sup>(٢)</sup>.

وعن أيوبَ السخّتيانيِّ قال: (قال لي أبو قلابة: إذا أحدثَ اللهُ لك عِلماً، فأحدثْ له عبادةً، ولا يَكُنْ همُّك أن تحدثَ به.

وقال الشَّعبيُّ: كُنَّا نستعينُ على حفظِ الحديثِ، بالعملِ به<sup>(١)</sup>.

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص ١٥ - ١٦).

(٢) (صيد الخاطر، لابن الجوزي) (ص ٢٨٩).



وقال سفيان الثوري: (العلمُ يَهْتَفُ بالعملِ، فإنَّ أجابه وإلا ارتحلَ)<sup>(٢)</sup>.

وقال الخطيبُ البغداديُّ: (إني موصيك يا طالبَ العلمِ بإخلاصِ النيةِ في طلبه، وإجهادِ النفسِ على العملِ بموجبه، فإنَّ العلمَ شجرةٌ، والعملُ ثمرةٌ، وليس يُعدُّ عالماً مَنْ لم يكنْ بعلمه عاملاً، وقيل: العلمُ والدُّ، والعملُ مولودٌ، والعلمُ مع العملِ، والروايةُ مع الدرايةِ، فلا تأنسُ بالعملِ، ما دُمتَ مستوحشاً من العلمِ، ولا تأنسُ بالعلمِ، ما كنتَ مقصراً في العملِ، ولكن اجمعَ بينهما، وإن قلَّ نصيبك منهما...) (٣).

وقال أيضاً: (ينبغي لطالبِ الحديثِ أن يتميزَ في عامَّةِ أمورهِ عن طرائقِ العوامِّ، باستعمالِ آثارِ الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما أمكنه، وتوظيفِ السُّنَّةِ على نفسه؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] (٤).

### ❖ من علامات العلم النافع:

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (تساءلُ مع نفسك عن حظِّك من علاماتِ العلمِ النافعِ، وهي:  
- العملُ به.

(١) (جامع بيان العلم، لابن عبد البر) (٧٠٩/١).

(٢) (المصدر السابق) (٧٠٧/١).

(٣) (اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي) (ص ١٤).

(٤) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٢١٥/١).

- كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق.
- تكاثر تواضعك كلما ازددت علماً.
- الهرب من حبّ التروّس والشهرة والدُّنيا.
- هجر دعوى العلم.
- إساءة الظنّ بالنفس، وإحسانه بالناس تترها عن الوقوع بهم.
- وقد كان عبد الله بن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف يُنشد:
- لا تعرضنّ بذكرنا مع ذكّرهم ليس الصّحيح إذا مشى كالمقعد<sup>(١)</sup>

### ٥- الأدب قبل الطلب:

قال عبد الله بن المبارك: (كانوا يطلبون الأدب ثمّ العلم).  
وقال أيضاً: (كاد الأدب يكون ثلثي الدين)<sup>(٢)</sup>.

قال محمد بن سيرين: (كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم)<sup>(٣)</sup>.

وعن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: قال لي أبي: (يا بني، إيت الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهدّيتهم، فإنّ ذلك أحبُّ إليّ لك من كثيرٍ من الحديث)<sup>(٤)</sup>.

(١) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص ٥١).

(٢) (صفة الصفوة، لابن الجوزي) (٤/١٤٥).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/١٢١).

(٤) (المصدر السابق).

وقال أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري: (علم بلا أدب، كمنار بلا حطب، وأدب بلا علم، كجسم بلا روح) (١).

قال عيسى بن حماد زغبة: (سمعتُ الليث بن سعد يقول - وقد أشرف على أصحاب الحديث فرأى منهم شيئاً - : ما هذا؟ أنتم إلى يسير من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم) (٢).

### ❖ من خلق الطالب وسمته:

قال الخطيب البغدادي: (يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه، فإنما يُستحار من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر؛ فإنه مذموم، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر، ويزيل المروعة) (٣).

وقال الشيخ بكر أبو زيد: (تحل بأداب النفس، من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر، من الوقار والرزانة، وخفض الجناح، متحملاً ذل التعلم لعزة العلم، ذليلاً للحق).

وعليه، فاحذر نواقض هذه الآداب، فإنها مع الإثم تُقيم على نفسك شاهداً على أن في العقل علة، وعلى حرمان من العلم والعمل به،

(١) (المصدر السابق) (١/١٢٢).

(٢) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي) (ص ١٢٢).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/٢٣٢).

فإيّاك والخيلاء، فإنه نفاقٌ وكبرياءٌ، وقد بلغ من شدة التّوقّي منه عند السّلفِ مبلغاً<sup>(١)</sup>.

### ❖ من آداب طالب العلم:

(أمّا المتعلّم: فأدابه ووظائفه كثيرة، ولكن ينظمُ تفاريقها عشرُ  
جملٍ [ومنها]:

- تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق، ومذموم الأوصاف.
- أن يقللَ علائقَه من الاشتغالِ بالدُّنيا.
- أن لا يتكبرَ على العلم، ولا يتأمرَ على المعلم.
- أن يحترزَ في مبدأ الأمرِ عن الإصغاءِ إلى اختلافِ الناسِ.
- أن لا يدعَ الطالبُ فتناً من العلومِ المحمودّة، إلا وينظرُ فيه نظراً يطلّعُ به على مقصده.
- أن لا يأخذَ في فنٍّ دفعةً، بل يُراعي الترتيبَ، ويتدبّرُ بالأهمّ.
- لا يخوضُ في فنٍّ، حتى يستوفي الذي قبله.
- أن يكونَ قصدُ المتعلّمِ في الحالِ تخليةً باطنه وتحميلاً بالفضيلة<sup>(٢)</sup>.



(١) حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد (ص ١٠).

(٢) (أبجد العلوم، لصديق حسن خان، بتصرف) (١/١٢٤-١٢٧).

## ثالثاً: إضاءات في أول الطريق

### ١ - سِتُّ ركائز أساسية:

(قال بعضُ الأوائِل: لا يتمُّ العلمُ إلا بستةِ أشياء: ذهنٌ ثاقبٌ، وزمانٌ طويلٌ، وكفايةٌ، وعملٌ كثيرٌ، ومعلمٌ حاذقٌ، وشهوةٌ، وكلُّما نقصَ من هذه الستةِ شيءٌ، نقصَ بمقداره من العلمِ. وذكرَ الشهوةَ؛ لأنَّ النفسَ إذا اشتَّهتَ الشيءَ، كانتَ أسمحَ في طلبه، وأنشطَ لالتماسه. وذكرَ الكفايةَ؛ لأنَّ التكسُّبَ، وتعدُّرَ المعاشِ مَقْطَعَةٌ... والحاجةُ تميَّتُ النفسَ. وذكرَ المعلمَ الحاذقَ؛ لأنَّه إذا لم يكنْ حاذقاً، لم يحلَّ المتعلمُ منه بطائلٍ<sup>(١)</sup>).

وذكرَ ثقبَ الذهنِ؛ لأنَّه علةُ القبولِ؛ وسببُ الفهمِ. وذكرَ كثرةَ العملِ؛ لأنَّ مَنْ لا يدأبُ في الطلبِ وقتَ الفراغِ، وقوةَ الشبابِ، قطعتهُ القواطعُ<sup>(٢)</sup>.

(١) لم يحلَّ بطائلٍ أي: لم يظفر ولم يستفد منها كبيرَ فائدة (لسان العرب، لابن منظور) (١٤/١٩١).

(٢) (الحث على طلب العلم، للعسكري، بتصرف) (ص ٤٧ - ٤٩).

## ٢- من سار على الدرب وصل:

رَحِمَ اللهُ الزرنوجيَّ حيثُ قال: (فلَمَّا رأيتُ كثيراً من طلابِ العلمِ في زماننا، يَجِدُّونَ إلى العلمِ، ولا يَصِلُونَ، ومِنَ منافعِهِ، وثمراتِهِ، يُحرمونَ؛ لما أَنَّهُم أخطَؤُوا طرائقَهُ، وترَكُوا شرائطَهُ، وكلُّ مَنْ أخطأَ الطريقَ ضلَّ، ولا ينالُ المقصودَ قلَّ أو جَلَّ) (١).

قال شيخُ الحنابلةِ في عصرِهِ ابنُ بدران: (اعلَمَ أَنَّ كثيراً مِنَ الناسِ يَقضونَ السنينَ الطوالَ في تعلُّمِ العلمِ، بل في علمٍ واحدٍ، ولا يحصلونَ منه على طائلٍ، ورُبُّما قَضَوْا أعمارَهُم فيه، ولم يَرْتَقُوا عن درجَةِ المبتدئين، وإِنَّمَا يَكُونُ ذلكُ لأحدِ أمرينِ:

أحدُهُما: عدمُ الذكاءِ الفطريِّ، وانتفاءُ الإدراكِ التصوريِّ، وهذا لا كلامَ لنا فيه، ولا في علاجِهِ. والثاني: الجهلُ بطُرُقِ التَّعليمِ) (٢).

## ٣- التلقِّي من أفواه العلماء:

ما أحسنَ توجيهَ الزرنوجيِّ لطلابِ العلمِ حينَ قال: (وينبغي لطالبِ العلمِ، أن لا يَختارَ نوعَ العلمِ بنفسِهِ، بل يفوضُ أمرَهُ إلى الأستاذِ؛ فإنَّ الأستاذَ قد حصلَ له التجاربُ في ذلك، فكانَ أعرفَ بما ينبغي لكلِّ أحدٍ، وما يليقُ بطبيعَتِهِ، وكانَ الشيخُ.. برهانَ الدينِ يقولُ رَحِمَهُ اللهُ: كانَ طلبَةُ العلمِ في الزمنِ الأولِ يُفوضونَ أمرَهُم في

(١) (تعليم المتعلم، للزرنوجي) (ص ٢).

(٢) (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، لابن بدران) (١/٢٦٥).

التعلم إلى أستاذهم، فكانوا يصلون إلى مقصودهم، ومرادهم، والآن يختارون بأنفسهم، فلا يحصل مقصودهم من العلم، والفقهاء<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ بكر أبو زيد:

(الأصل في الطلب، أن يكون بطريق التلقين، والتلقي عن الأساتيد، وقد قيل: من دخل في العلم وحده؛ خرج وحده. أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخ؛ خرج منه بلا علم؛ إذ العلم صناعة، وكلُّ صناعة تحتاج إلى صانع، فلا بدَّ إذا لتعلمها من معلمها الحاذق.

وكان أبو حيان كثيراً ما يُنشد:

يظنُّ العَمْرُ أَنَّ الكُتُبَ تَهْدِي      أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ العِلْمِ  
وما يَدْرِي الجُهولُ بَأَنَّ فِيهَا      غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الفَهْمِ  
إِذَا رُمَتْ العِلْمَ بِغَيْرِ شَيْخٍ      ضَلَّتْ عَنِ الصِّرَاطِ المَسْتَقِيمِ  
وتلتبسُ الأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى      تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُومَا الحَكِيمِ<sup>(٢)</sup>

ذكر الشاطبي في معرض حديثه عن اتفاق الناس على افتقار الجاهل إلى المعلم، قول بعضهم: (إنَّ العلمَ كان في صدور الرجال، ثمَّ انتقل إلى الكتب، وصارت مفاتيحه بأيدي الرجال).

قال الشاطبي معلقاً على ذلك: (وهذا الكلام يقضي بأن لا بدَّ في تحصيله من الرجال؛ إذ ليس وراء هاتين المرتبتين مرمى عندهم، وأصلُّ

(١) (تعليم المتعلم) (ص ١٠).

(٢) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد، بتصرف) (ص ٢٤، ٢٢).

هذا في الصحيح: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ...)) الحديث<sup>(١)</sup>، فإذا كان كذلك؛ فالرَّجَالُ هم مفاتيحه بلا شك<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ - انظر.. عمن تأخذ دينك ؟

قال الزرنوجي: (يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمَ، وَالْأَوْرَعَ، وَالْأَسَنَّ، كَمَا اخْتَارَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ حَمَّادَ بْنَ سَلِيمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ، بَعْدَ التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ، وَقَالَ: وَجَدْتُهُ شَيْخًا، وَقَوْرًا، حَلِيمًا، صَبُورًا. وَقَالَ: ثَبْتُ عِنْدَ حَمَادِ بْنِ سَلِيمَانَ فَنَبْتُ)<sup>(٣)</sup>.

قال مالك: (لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ مِنْ أَرْبَعَةٍ، وَيُؤْخَذُ مِنْ سِوَى ذَلِكَ: لَا يُؤْخَذُ مِنْ سَفِيهِ مَعْلِنٍ بِالسَّفْهِ، وَإِنْ كَانَ أَرَوَى النَّاسِ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْ كَذَّابٍ، يَكْذِبُ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِذَا جُرِّبَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُتَّهَمُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا مِنْ صَاحِبِ هَوَى يَدْعُو النَّاسَ إِلَى هَوَاهُ، وَلَا مِنْ شَيْخٍ لَهُ فَضْلٌ، وَعِبَادَةٌ، إِذَا كَانَ لَا يَعْرِفُ مَا يُحَدِّثُ)<sup>(٤)</sup>.

قال ابن جماعة: (يَنْبَغِي لِلطَّالِبِ أَنْ يَقَدِّمَ النَّظَرَ، وَيَسْتَخِيرَ اللَّهَ فَيَمُنَّ

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) (الموافقات، للشاطبي) (١/١٤٠).

(٣) (تعليم المتعلم، للزرنوجي) (ص٦).

(٤) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/٢١٢).



يأخذُ العلمَ عنه، ويكتسبَ حسنَ الأخلاقِ، والآدابَ منه، وليكنَ إن أمكنَ ممنَ كملتْ أهليتهُ، وتحققتْ شفقتهُ، وظهرتْ مروءتهُ، وعُرفتْ عِفتهُ، واشتهرتْ صيانتُهُ، وكانَ أحسنَ تعليماً، وأجودَ تفهيماً، ولا يرغبُ الطالبُ في زيادةِ العلمِ، معَ نقصٍ في ورعٍ، أو دينٍ، أو عدمِ خلقٍ جميلٍ، فعن السلفِ: (هذا العلمُ دينٌ، فانظروا عمنَ تأخذونَ دينكم) (١).

قال جعفرُ بنُ محمدٍ: (إذا رأيتمُ العالمَ محباً لدُنياه؛ فاتَّهَمُوهُ على دينكم، فإنَّ كلَّ محبٍّ لشيءٍ يحوطُ ما أحبُّ) (٢).

قال الذهبيُّ: (قرأتُ بخطَّ الشيخِ الموفقِ قال: سمعنا درسَه - أي: ابنِ أبي عَصْرُونَ - معَ أخي أبي عمرَ وانقَطَعْنَا، فسمعتُ أخي يقولُ: دخلتُ عليه بعدُ، فقال: لِمَ انقَطَعْتُم عَنِّي؟ قلتُ: إنَّ أناساً يقولون: إنَّك أشعريُّ، فقال: واللهِ ما أنا أشعريُّ. هذا معنَى الحكايةِ) (٣).

#### ٥- اتباع خير القرون:

أوصى الإمامُ شيخُ الإسلامِ أبو عمرو الأوزاعيُّ تلميذَه بقيَّةَ بنِ الوليدِ بوصيةً، فقال: (يا بقيَّةُ، العلمُ ما جاءَ عن أصحابِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، وما لم يَجِئْ عن أصحابِ محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم، فليسَ بعلمٍ، يا بقيَّةُ لا تذكُرْ أحداً من أصحابِ محمدٍ نبيِّك صلى اللهُ عليه وسلم إلا بخيرٍ، ولا أحداً من أمَّتِكَ، وإذا سمعتَ أحداً يَقَعُ في غيرِه، فاعلمُ أنَّه

(١) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة (ص ٨٥).

(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١/٦٧٠).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٢٩/٢١).

إِنَّمَا يَقُولُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ<sup>(١)</sup>.

قال مالكٌ وقد ذُكِرَ له كتابُه الموطأ: (فيه حديثُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، وقولُ الصحابةِ والتابعينِ ورأيهم، وقد تكلمتُ برأبي على الاجتهادِ، وعلى ما أدركتُ عليه أهلَ العلمِ ببلدنا، ولم أخرجُ عن جملتهم إلى غيرِه)<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ: (إذا كان في المسألةِ عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم حديثٌ؛ لم نأخذُ فيها بقولِ أحدٍ من الصحابةِ ولا من بعدهم خلافةً، وإذا كان في المسألةِ عن أصحابِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قولٌ مختلفٌ، نختارُ من أقاويلهم، ولم نخرجُ عن أقاويلهم إلى قولٍ من بعدهم، وإذا لم يكنُ فيها عن النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلم، ولا عن الصحابةِ قولٌ، نختارُ من أقوالِ التابعينِ)<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (كن سلفياً على الجادة، طريق السلفِ الصالحِ من الصحابةِ رضي اللهُ عنهم، فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميعِ أبوابِ الدينِ، من التوحيدِ، والعباداتِ، ونحوها، متميزاً بالتزامِ آثارِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، وتوظيفِ السننِ على نفسك، وتركِ الجدلِ، والمراءِ، والخوضِ في علمِ الكلامِ، وما يجلبُ الآثامَ، ويصدُّ عن الشرعِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٧٦٩).

(٢) (ترتيب المدارك، للقاضي عياض) (٢/٧٣).

(٣) (المسودة، لآل تيمية) (١/٢٧٦).

(٤) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص٨).

## ❖ طبقات العلم:

روى نوحُ الجامعُ، عن أبي حنيفةَ أنَّه قال: (ما جاءَ عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم، فعلى الرأسِ والعينِ، وما جاءَ عن الصحابةِ اخترنا، وما كان من غيرِ ذلك، فهم رجالٌ ونحن رجالٌ) (١).

وقال الشافعيُّ: (العلمُ طبقاتٌ:

الأولى: الكتابُ والسنةُ، إذا ثبتت السنةُ.

ثم الثانيةُ: الإجماعُ، فيما ليس فيه كتابٌ ولا سنةٌ.

والثالثةُ: أن يقولَ بعضُ أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولا

نعلمُ له مخالفاً منهم.

والرابعةُ: اختلافُ أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ورضي

عنهم.

والخامسةُ: القياسُ على بعضِ هذه الطبقاتِ، ولا يُصارُ إلى شيءٍ

غيرِ الكتابِ والسنةِ، وهما موجودان، وإنما يؤخذُ العلمُ من أعلى) (٢).

(قال الربيعُ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ، وسأله رجلٌ عن مسألةٍ فقال:

يُروى عن النبيِّ أنَّه قال كذا وكذا. فقال له السائلُ: يا أبا عبدِ الله، أتقولُ

بهذا؟ فارتعدَ الشافعيُّ، واصفرَّ، وحالَ لوئتهُ، وقال: وَيَحْكُ، أيُّ أرضٍ

تُقَلِّني وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني، إذا رويتُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

(١) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٤٠١/٦).

(٢) (المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي) (١١٠/١).

شيئاً فلم أقلُّ به؟ نَعَمْ، على الرأسِ والعينِ<sup>(١)</sup>.

وقال الإمامُ أحمدُ: (إِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ، لَيْسَ لَكَ فِيهَا إِمَامٌ)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابنُ رَجَبٍ: (وَفِي زَمَانِنَا يَتَعَيَّنُ كِتَابَةُ كَلَامِ أُمَّةِ السَّلَفِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ إِلَى زَمَنِ الشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَأَبِي عُيَيْدٍ، وَلِيَكُنِ الْإِنْسَانُ عَلَى حَذَرٍ مِمَّا حَدَّثَ بَعْدَهُمْ؛ فَإِنَّهُ حَدَّثَتْ بَعْدَهُمْ حَوَادِثٌ كَثِيرَةٌ، وَحَدَّثَ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى مَتَابِعَةِ السَّنَةِ وَالْحَدِيثِ، وَهُوَ أَشَدُّ مُخَالَفَةً لَهَا؛ لَشِدْوَذِهِ عَنِ الْأُمَّةِ، وَانْفِرَادِهِ عَنْهُمْ بِفَهْمٍ يَفْهَمُهُ، أَوْ يَأْخُذُ مَا لَمْ يَأْخُذْ بِهِ الْأُمَّةُ مِنْ قَبْلِهِ)<sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً: (وَفِي كَلَامِهِمْ - أَي: السَّلَفِ - كِفَايَةٌ وَزِيَادَةٌ، فَلَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ حَقٍّ، إِلَّا وَهُوَ فِي كَلَامِهِمْ مَوْجُودٌ، بِأَوْجَرِ لَفْظٍ، وَأَخْصَرِ عِبَارَةٍ، وَلَا يَوْجَدُ فِي كَلَامِ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ بَاطِلٍ، إِلَّا وَفِي كَلَامِهِمْ مَا يُبَيِّنُ بَطْلَانَهُ لِمَنْ فَهَمَهُ وَتَأَمَّلَهُ، وَيَوْجَدُ فِي كَلَامِهِمْ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيعَةِ، وَالْمَأْخُذِ الدَّقِيقَةِ، مَا لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَا يُلْمُّ بِهِ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذِ الْعِلْمَ مِنْ كَلَامِهِمْ فَاتَهُ ذَلِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، مَعَ مَا يَقَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبَاطِلِ، مَتَابِعَةً لِمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ)<sup>(٤)</sup>.

(١) (طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي) (١٣٨/٢).

(٢) (مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي) (ص١٧٨).

(٣) (بيان فضل علم السلف على علم الخلف، لابن رجب، بتصرف) (ص٦٩).

(٤) (بيان فضل علم السلف، لابن رجب) (ص٦٨).

## ٦- الزم قولاً.. ولا تتشوّش:

على الطالب (أن يحذر في ابتداء أمره من الاشتغال في الاختلاف بين العلماء، أو بين الناس مطلقاً في العقليات، والسمعيات؛ فإنه يُحيرُ الذهن ويدهشُ العقل، بل يتقنُ أولاً كتاباً واحداً، في فنٍّ واحدٍ، أو كتباً في فنونٍ إن كان يحتملُ ذلك.

أمّا إذا تحققت أهليّة المتعلّم، وتأكدت معرفته، فالأوّلَى أن لا يدعَ فناً من العلوم الشرعية إلا نظّر فيه، فإن ساعده طول العمر على التبحر فيه، فذاك، وإلا فقد استفاد منه ما يخرُجُ به من عداوة الجهل بذلك العلم، ويعتني من كلِّ علمٍ بالأهمّ فالأهمّ، ولا يغفلنَّ عن العمل الذي هو المقصودُ بالعلم<sup>(١)</sup>.

## ٧- خطوة.. خطوة:

التدرُّج في طلب العلم وحفظه أمرٌ مهمٌّ، فلا يستعجل طالبُ العلم الثمرة، فيعاقب بالحرمان، وما يأتي سريعاً يذهب سريعاً. قال الزهريُّ ليونسَ بن يزيد: (يا يونس، لا تكابر العلم؛ فإن العلم أودية، فأثيها أخذت فيه، قطع بك قبل أن تبلّغه، ولكن خذ مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة؛ فإن من رام أخذَه جملةً ذهب عنه جملةً، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام)<sup>(٢)</sup>.

قال ابنُ عبد البر: (طلبُ العلم درجاتٌ، ومناقلٌ، ورتبٌ، لا ينبغي

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص ١١٦ - ١٢٠).

(٢) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (٤٣١/١).

تعدّيها، ومَن تعدّاها جملةً فقد تعدّى سبيلَ السلفِ رحِمهم اللهُ، ومَن  
تعدّى سبيلهم عامداً ضلّ، ومَن تعدّاه مجتهداً زلّ<sup>(١)</sup>.

قال الشيخُ بكر أبو زيدٍ: (فأمامك أمورٌ لا بدَّ من مراعاتِها في كلِّ  
فنٍّ تطلُّبه:

- حفظٌ مختصرٌ فيه.
- ضبطه على شيخٍ متقنٍ.
- عدمُ الاشتغالِ بالمطولاتِ وتفاريقِ المصنفاتِ قبلَ الضبطِ  
والإتقانِ لأصله.
- لا تنتقلُ من مختصرٍ إلى آخرٍ بلا موجبٍ، فهذا من بابِ  
الضجرِ.
- اقتناصُ الفوائدِ والضوابطِ العلميةِ.
- جمعُ النفسِ للطلبِ والتَّرقِّي فيه، والاهتمامُ والتحرُّقُ للحصولِ  
والبلوغِ إلى ما فوقه<sup>(٢)</sup>.

#### ❖ خذ بقدر ما تطيق:

قال الخطيبُ البغداديُّ: (ولا يأخذُ الطالبُ نفسه بما لا يطيقه، بل  
يقتصرُ على اليسيرِ الذي يضبطه، ويحكمُ حفظه ويتقنه.  
قال إسماعيلُ بنُ عُلَيَّةَ: كنتُ أسمعُ منِ أيُّوبَ خمسَةً، ولو حدَّثني  
بأكثرَ من ذلك ما أردتُ).

(١) (المصدر السابق) (٢/١١٢٩).

(٢) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص ١٨ - ١٩).

قال سُفيانُ الثوريُّ: كنتُ آتي الأعمشَ ومنصوراً، فأسمعُ أربعةَ أحاديثَ، خمسةً، ثم أنصرفُ، كراهةً أن تكثُرَ وتفلَّتَ.

وعن شُعبةَ قال: كنتُ آتي قتادةَ، فأسأله عن حديثين، فيحدثُني، ثم يقولُ: أزيدُك؟ فأقولُ: لا، حتى أحفظَهما وأتقنَهما<sup>(١)</sup>.

## ٨- ابدأ بالأوّلَى، فالأوّلَى:

من توجيهاتِ أبي العباسِ بنِ قدامةِ المقدسيِّ لطالبِ العلمِ المبتدئِ، قوله:

(ابتدئْ بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ثم بسنَّةِ رسوله صلى اللهُ عليه وسلَّم، ثمَّ بعلومِ القرآنِ مِنَ التفسيرِ وَمِن ناسخٍ ومنسوخٍ، ومحكمٍ ومتشابهٍ، إلى غيرِ ذلك، وكذلك في السنة، ثم اشتغلْ بالفروعِ وأصولِ الفقه، وهكذا بقیةَ العلومِ على ما يتسعُ له العمرُ، ويساعدُ فيه الوقتُ، ولا تستغرقِ عمرَكَ في فنٍّ واحدٍ منها؛ طلباً للاستقصاءِ؛ فإنَّ العلمَ كثيرٌ والعمرَ قصيرٌ)<sup>(٢)</sup>.

قال الزبيديُّ نقلاً عن صاحبِ الذريعةِ: (يجبُ أن لا يخوضَ طالبُ العلمِ في فنٍّ حتى يتناولَ مِنَ الفنِّ الذي قبله على الترتيبِ بُلغته، ويقضي منه حاجته، فإزدحامُ العلمِ في السمعِ مضلةُ الفهمِ... فيجبُ أن يقدمَ الأهمَّ فالأهمَّ، من غيرِ إخلالٍ في الترتيبِ، وكثيرٌ مِنَ الناسِ مُنعوا الوصولَ لتركهم الأصولَ؛ وحقُّه أن يكونَ قصده من كلِّ علمٍ يتحرَّاه، التبُّلُّغُ به

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب، بتصرف) (١/٣٥٤ - ٣٥٦).

(٢) (مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة) (ص ٣٠ - ٣١).

إلى ما فوقه، حتى يبلغَ النهاية<sup>(١)</sup>.

### ٩- مراحل التعلم:

(كان المأمونُ يُوصي بعضَ بنيه، فيقولُ: اكتبْ أحسنَ ما تسمعُ، واحفظْ أحسنَ ما تكتبُ، وحدثْ بأحسنِ ما تحفظُ)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابنُ المبارك: (أولُّ العلمِ النيةُ، ثم الاستماعُ، ثم الفهمُ، ثم الحفظُ، ثم العملُ، ثم النشرُ)<sup>(٣)</sup>.

### ١٠- أدوات تحصيل العلم:

#### أ- السماع والكتابة:

قال بعضهم: (كنتُ عندَ بعضِ العلماءِ، فكنتُ أكتبُ عنه بعضاً، وأدعُ بعضاً، فقال لي: اكتبْ كلَّ ما تسمعُ، فإنَّ أحسنَ ما تسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض)<sup>(٤)</sup>.

قال الشيخُ عبدُالكريمِ الخضير: (التجربةُ أثبتتُ أنَّه كلما سهلَ الحصولُ على الكتابِ، أو على المعلومةِ ضعفتِ الإفادةُ. حشي العلماءُ على التحصيلِ من جرَّاءِ الطباعةِ؛ فأفتى علماءُ الأزهرِ بتحريمِ طباعةِ الكتبِ الشرعيةِ، فأذِنوا بطباعةِ كتبِ التاريخ والأدبِ واللغةِ وغيرها، أمَّا الكتبُ الشرعيةُ فلا، وكان طالبُ العلمِ في

(١) (إتحاف السادة المتقين، للزبيدي، بتصرف) (١/٥٤٣).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص ١٤١).

(٣) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٤٧٦).

(٤) (الحيوان، للجاحظ) (١/٥٨).



السابق إذا احتاج إلى كتاب، اضطرَّ إلى نسخه. ومعاناة الكتابة أفضل من القراءة مراراً، فأنت إذا احتججت إلى كتاب، لا بدَّ أن تكتب الكتاب، أو تستعيره، وتنسخه، أو تُدوّن ما يهْمُك منه، هل هذا مثل أن تذهب إلى مكتبة وتشتري كتاباً، وترصّه مع إخوانه في الأدراج؟! (١).

قال الفِرَبْرِيُّ: (كنتُ مع محمد بن إسماعيل بمترله ذات ليلة، فأحصيتُ عليه أنه قام، وأسرج، يستذكرُ أشياءً يعلقها في ليلة، ثمان عشرة مرة) (٢).

وحكى الحميدي عن الشافعيّ لما كانا بمصر، أنه كان يخرج في بعض الليالي، فإذا مصباح مترل الشافعيّ مُسرج، فيصعدُ إليه، فإذا قرطاسٌ ودواة، قال الحميدي: فأقول: مه يا أبا عبد الله! فيقول: (تفكرتُ في معنَى حديثٍ - أو في مسألة - فخفتُ أن يذهبَ عليّ، فأمرتُ بالمصباح، وكتبته) (٣).

وفي ترجمة أبي الفرج ابن الجوزيِّ صاحب التصانيف الكثيرة أنه: (كان لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتبُ في اليوم أربع كراريس، ويرتفعُ له كلُّ سنةٍ من كتابته، ما بين خمسين مجلداً إلى ستين) (٤).

(١) كيف يبني طالب العلم مكتبته، للخضير.

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤٠٤/١٢).

(٣) آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم (ص ٤٤، ٤٥).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٤١٢/١).

وقال سبْطُه: (إِنَّهُ سَمِعَهُ عَلَى الْمَنِيرِ فِي آخِرِ عَمْرِهِ، يَقُولُ: كَتَبْتُ بِإِصْبَعِي هَاتَيْنِ، أَلْفِي مَجْلِدَةً)<sup>(١)</sup>.

فائدة:

### ❖ الكتب الجامعة للفوائد:

دَوْنٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَوَائِدَهُمْ فِي كِتَابٍ مُفْرَدَةٍ، مِثْلُ:

- ١- (الفنون)، لابن عَقِيلٍ، وهو من أضخم الكتب.
- ٢- (الفوائد العونية)، للوزير ابن هبيرة.
- ٣- (صيد الخاطر)، لابن الجوزي.
- ٤- (قيد الأوابد)، في (٤٠٠ مجلد)، للدعولي.
- ٥- (عيون الفوائد)، في (٦ أسفار)، لابن النَّجَّار.
- ٦- (بدائع الفوائد)، و(الفوائد)، لابن القيم.
- ٧- (التذكرة)، في (٥٠ مجلداً)، للكندي.
- ٨- (مجمع الفوائد ومنبع الفرائد)، في نحو (١٠٠ مجلد)، للمقريزي كالنذكرة له.
- ٩- تذكرة السيوطي في أنواع الفنون في (٥٠ مجلداً)، وغيرها كثير.

### ب- الحفظ:

قال العسكري: (الحفظ لا يكون إلا مع شِدَّةِ العناية، وكثرةِ الدرس، وطولِ المذاكرة. والمذاكرة حياة العلم، وإذا لم يكن درس، لم

(١) (ذيل طبقات الحنابلة) (١/٤١٠).

يكن حفظاً، وإذا لم تكن مذاكرةً، قلتَ منفعةُ الدرسِ، ومن عوّل على الكتابِ، وأخلّ بالدرسِ والمذاكرة، ضاعتْ ثمرةُ سعيه، واجتهاده في طلب العلم...

وأنشدَ النَّظَّامُ قولَ محمدِ بنِ البشيرِ:

أما لو أعْيى كلَّ ما أسمعُ      وأحفظُ من ذاك ما أجمعُ  
ولم أستفدِ غيرَ ما قد سمعتُ      لقليلَ هو العالمُ المصقعُ  
ولكنَّ نَفْسِي إلى كلِّ شيءٍ      من العلمِ تسمعه تترعُ  
فلا أنا أحفظُ ما قد جمعتُ      ولا أنا من جمعه أشبعُ  
وأحضرُ بالصمتِ في مجلسي      وعلمي في الكتبِ مُستودعُ  
ومن يكُ في علمه هكذا      يكن دهره القهقري يرجعُ  
إذا لم تكن حافظاً واعياً      فجمعك للكُتُبِ لا ينفعُ

وكان الخليلُ بنُ أحمدَ يقولُ: اجعلْ ما في كتابك رأسَ المالِ، وما في صدركَ للنفقةِ.

وقال الزُّهريُّ: إنَّ الرجلَ ليطلبُ، وقلبهُ شعبٌ من الشَّعابِ، ثم لا يلبثُ أن يصيرَ وادياً، ولا يوضعُ فيه شيءٌ إلا التَّهَمَةُ.  
يريدُ أنَّ أولَ الحفظِ شديدٌ، يشقُّ على الإنسانِ، ثمَّ إذا اعتاده سهلَ، ومصدقُ ذلك ما أخبرَ به الشيخُ أبو أحمدَ عن الصوليِّ عن الحارثِ ابنِ أسامةَ قال: كان العلماءُ يقولون: كلُّ وعاءٍ أفرغتَ فيه شيئاً فإنَّه يضيقُ، إلا القلبَ، فإنَّه كلما أفرغَ فيه اتَّسعَ.

وينبغي للدارس أن يرفع صوته في درسه، حتى يُسمع نفسه، فإن ما سمعته الأذن، رسخ في القلب؛ ولهذا كان الإنسان أوعى لما يسمعه منه لما يقرأه.

وحكي عن أبي حامد أنه كان يقول لأصحابه: إذا درستم فارتفعوا أصواتكم؛ فإنه أثبت للحفظ؛ وأذهب للنوم. وكان يقول: القراءة الخفية للفهم، والرفيعة للحفظ والفهم. وكان ابن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح، أن يحفظ شيئاً وإن قل<sup>(١)</sup>.

(وقال الخليل بن أحمد: تكثّر من العلم لتعرف، وتقلّ منه لتحفظ. وقال أبو إسحاق: القليل والكثير للكتب، والقليل وحده للصدر<sup>(٢)</sup>).

### ❖ للحفظ طريقتان ولكل منهما مميزاتا وعيوبها:

#### (الطريقة الأولى:

وهي أنفع للصغار والشباب ومن أوتي موهبة الحفظ: وهي بأن يُقرّر الطالب على نفسه لكل يوم جزءاً يسيراً من العلم، كأن يكون حديثاً، أو حديثين، أو أكثر، ويُستحسن أن يكون قدراً يسيراً، فإن القليل يثبت، والكثير لا يُحصّل؛ فيتحفظ هذا المقرّر يومياً، حتى يُعيّبه في صدره. ويستمر على ذلك فترة طويلة، هي سنوات طلبه للعلم، مع تعهّد المحفوظ دائماً.

(١) (الحث على طلب العلم، للعسكري، بتصرف) (ص ٦٧ - ٧٧).

(٢) (الحيوان، للجاحظ) (١/٥٨، ٥٩).

### الطريقةُ الثانيةُ:

وهي أنفعُ لكبارِ السنِّ ولمنْ لم يُؤتْ موهبةَ الحفظِ: وتتلخَّصُ في إيمانٍ مجالسةِ الكتبِ، وإدامةِ القراءةِ فيها، والجلدِ في ذلك والصبرِ عليه، مع الإكثارِ من النَّسخِ والكتابةِ، وتعويدِ اليدِ على ذلك<sup>(١)</sup>.

### ❖ من الأسبابِ التي يُستعانُ بها على الحفظِ:

#### - اجتنابُ المحرماتِ وتركُ المنهياتِ

قال ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: (إني لأحسبُ أنَّ الرَّجُلَ يَنْسَى العِلْمَ قد عِلِمَه بالذَّنْبِ يعمَلُه)<sup>(٢)</sup>.

وقال رجلٌ للإمامِ مالكٍ: (يا أبا عبدِ اللهِ، هل يصلحُ لهذا الحفظِ شيءٌ؟ قال: إنْ كانَ يصلحُ له شيءٌ فتركُ المعاصي)<sup>(٣)</sup>.

#### - اغتنامُ الأوقاتِ المناسبةِ للحفظِ

رُوي أنَّ المنذرَ قالَ للتُّعمانِ ابنه: (يا بُنَيَّ، أُحِبُّ لَكَ التَّنْظَرَ في الأدبِ بالليلِ، فإنَّ القلبَ بالنهارِ طائرٌ، وبالليلِ ساكنٌ، وكلِّمَّا أُوعِيَتْ فيه شيئاً علقه).

قال الخطيبُ البغداديُّ معلقاً على هذه الوصيةِ: (إنَّما اختاروا المطالعةَ بالليلِ لخلوِّ القلبِ، فإنَّ خلوهُ يسرِّعُ إليه الحفظُ، ولهذا ما قيلَ لحمَّادِ بنِ زيدٍ: ما أعونُ الأشياءِ على الحفظِ؟ قال: قلةُ الغمِّ).

(١) (نصائح منهجية، لحاتم العوني، بتصرف) (ص ٦٢، ٦٣).

(٢) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٦٧٥).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٢/٣٨٧).

وليس تكون قلة الغم إلا مع خلو السرّ وفراغ القلب، والليل أقرب الأوقات إلى ذلك<sup>(١)</sup>.

### - إحكام الحفظ بكثرة تكريره

قال ابن الجوزي: (الطريق في إحكامه كثرة الإعادة، والناس يتفاوتون في ذلك، فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير. وكان أبو إسحاق الشيرازي، يُعيد الدرسَ مائة مرة، وكان الكيا الهراسي يُعيد سبعين مرة. وقال لنا الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه: لا يحصل الحفظ إليّ حتى يعاد خمسين مرة. وحكى لنا الحسن أن فقيهاً أعاد الدرس في بيته مراراً كثيرة، فقالت له عجوزٌ في بيته: قد والله حفظته أنا! فقال: أعيديه، فأعادته؛ فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز، أعيدي ذلك الدرس، فقالت: ما أحفظه، قال: إنني أكرّر عند الحفظ لئلا يُصيبني ما أصابك<sup>(٢)</sup>).

### - الجهر بقراءة ما يُراد حفظه

قال الزبير بن بكار: (دخل عليّ أبي وأنا أروي في دفترٍ ولا أجهر، أروي فيما بيني وبين نفسي، فقال لي: إنّما لك من روايتك هذه ما أدى بصرك إلى قلبك فإذا أردت الرواية فانظر إليها واجهر بها؛ فإنه يكون لك

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٢/٤٠٠ - ٤٠١).

(٢) (الحث على حفظ العلم، لابن الجوزي) (ص ٢١).

ما أدّى بصرك إلى قلبك، وما أدّى سمعك إلى قلبك<sup>(١)</sup>.

### ❖ سعة حفظ بعض العلماء:

كان أبو رأسٍ العسكريّ - محمد بن أحمد بن عبد القادر الجزائريّ (ت: ١٢٣٩) - يُذكرُ بقوة حافظته، وسعة اطلاعه، وأتهم بسبب ذلك، وحكي (أن جماعة من تلاميذه تذاكروا في قوة حافظته وكأنهم اتهموه بالاختلاق، فركبوا اسماً نطق كل واحدٍ منهم بحرفٍ منه، وجعلوه اسماً لملك، وسألوا الشيخ عنه، فأملى لهم ترجمته، وسيرته وأعماله، فاتفقوا أن الشيخ كاذب!!).

ولما طالّت المدّة، وقف أحدُهم على الاسم والسيرّة في كتابٍ تاريخيٍّ على نحو ما كان أملاه الشيخ أبو رأسٍ عليهم، فعلموا أن الشيخ صادقٌ، وهم مُقصرّون مُتّهَمون الشيخ ممّا هو منه بريء. قال الكتاني: وهذه حالة كبار الحفاظ مع القاصرين والجاهلين<sup>(٢)</sup>.

### ❖ ج- المذاكرة:

قال الخطيب: (ينبغي أن يتذاكر مواظبو مجلس الشيخ ما وقع فيه من الفوائد، والضوابط، والقواعد، وغير ذلك، وأن يُعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم، فإن في المذاكرة نفعاً عظيماً، وتكون المذاكرة عند القيام من مجلسه قبل تفرّق أذهانهم، وتشتت حواطيرهم، وشذوذ بعض ما سمعوه عن أفهامهم... وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل، فإن لم يجد الطالب من

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٢/٤٠٢).

(٢) (فهرس الفهارس، للكتاني) (١/١٥١).

يذاكره، ذاكر نفسه بنفسه، وكرّر معني ما سمعه، ولفظه على قلبه؛ ليلق ذلك على خاطره؛ فإن تكرر المعنى على القلب، كتكرار اللفظ على اللسان، سواء بسواء، وقل أن يفلح من يقتصر على الفكر والتعقل، بحضرة الشيخ خاصة، ثم يتركه ويقوم، ولا يعاوده<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن الحسن بن شقيق قال: (قمت مع ابن المبارك ليلة باردة، ليخرج من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث، وذاكرته، فما زال يذاكرني، حتى جاء المؤذن، فأذن للفجر)<sup>(٢)</sup>.

وعن عطاء قال: (كنا نكون عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، فيحدثنا، فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه، فكان أبو الزبير أحفظنا للحديث)<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد الله بن المعتز: (من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم)<sup>(٤)</sup>.

عن عبدالعزيز بن أبي حازم، قال: (قال أبي: كان الناس فيا مضى من الزمان الأول إذا لقي الرجل من هو أعلم منه قال: اليوم يوم غنمي. فيتعلم منه، وإذا لقي من هو مثله قال: اليوم يوم مذاكرتي. فيذاكره، وإذا لقي من هو دونه علمه، ولم يزه عليه، حتى صار هذا الزمان، فصار الرجل

(١) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف (ص ١٤٣ - ١٤٥).

(٢) تذكرة الحفاظ، للذهبي (١/٢٧٧).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (١/٣٦٥).

(٤) المصدر السابق (٢/٤١٥).



يَعِيبُ مَنْ فَوْقَهُ ابْتِغَاءً أَنْ يَنْقَطَعَ مِنْهُ حَتَّى لَا يَرَى النَّاسُ أَنْ لَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ،  
وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ لَمْ يُذَاكِرْهُ، فَهَلَكَ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

وعن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ  
قال: ((إِنَّمَا مِثْلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمِثْلِ صَاحِبِ الْإِبْلِ الْمَعْقَلَةِ، إِنْ عَاهَدَ  
عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ))<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظُ ابنُ عبدِ البرِّ: (وفي هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ مَنْ لم  
يَتَعَاهَدْ عِلْمَهُ ذَهَبَ عَنْهُ أَيَّ مَنْ كَانَ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُمْ كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتَ الْقُرْآنَ  
لَا غَيْرُ، وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْمَيْسِرُ لِلذِّكْرِ يَذْهَبُ إِنْ لَمْ يُتَعَاهَدْ، فَمَا ظَنُّكَ  
بغيرِهِ مِنَ الْعُلُومِ الْمَعْهُودَةِ؟! وَخَيْرُ الْعُلُومِ مَا ضُبِطَ أَصْلُهُ، وَاسْتُذَكِرَ فِرْعُهُ،  
وَقَادَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَدَلَّ عَلَى مَا يَرْضَاهُ)<sup>(٣)</sup>.

### ❖ الوسائلُ المعينةُ لطالبِ العلمِ:

- (أَنْ يُقَلَّلَ مِنْ نَوْمِهِ، مَا لَمْ يَلْحَقْهُ ضَرَرٌ فِي بَدَنِهِ وَذَهْنِهِ، وَلَا يَزِيدُ  
فِي نَوْمِهِ عَنْ ثَمَانِ سَاعَاتٍ، إِنْ احْتَمَلَ حَالَهُ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ فَعَلَّ.  
- أَكَلُ الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْحَلَالِ؛ فَكَثْرَةُ الْأَكْلِ جَالِبَةٌ لكَثْرَةِ  
الشَّرْبِ، ثُمَّ كَثْرَةُ النَّوْمِ، وَحُصُولُ الْبِلَادَةِ، وَقُصُورُ الذَّهْنِ، وَفَتْورُ الْحَوَاسِّ،  
وَكَسَلُ الْجِسْمِ.

(١) (المصدر السابق) (٢/٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣١) ومسلم (٧٨٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) (التمهيد، لابن عبد البر) (١٤/١٣٣-١٣٤).

قال القحطانيُّ في نُونِيَّتِهِ:

لا تحشُّ بطنَكَ بالطَّعامِ تَسْمُناً      فجُسُومُ أهلِ العِلْمِ غيرُ سَمَّانِ  
لا تَتَّبِعْ شهواتِ نَفْسِكَ مُسْرِفاً      فاللَّهُ يُبَغِضُ عابِداً شَهْوانِي  
أَقِلُّ طَعَامَكَ ما اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ      نَفْعُ الجُسُومِ وصِحَّةُ الأَبْدانِ  
واملِكْ هَواكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ      شرُّ الرِّجالِ العاجِزِ البَطْنانِ

- أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شؤونه، ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه، وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعباله؛ ليستنير قلبه، ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به.

قال عبدُاللهِ بنُ المباركِ:

يا طالبَ العِلْمِ بادِرِ الوَرَعَا      وهاجِرِ النَّوْمِ واهجِرِ الشَّبَعَا

- ألا يخالط في الغالب إلا من يفيدُه أو يستفيدُ منه.

قال الزرنوجيُّ: (وأما اختيارُ الشريكِ فينبغي أن يختارَ المُجِدَّ، والورعَ، وصاحبَ الطبعِ المستقيمِ والمتفهمِ، ويفرَّ من الكسلانِ، والمعطلِ، والمكثارِ، والمفسدِ، والفتانِ)<sup>(١)</sup>.

١١ - الاهتمام بعلم الحديث:

❖ أهمية تعلم علم الحديث

للهِ دَرُّ القائلِ:

(دينُ النبيِّ محمدٍ أخبارُ      نَعَمَ المَطيئةُ للفتى الآثارُ

(١) (من هدي السلف في طلب العلم، لحمد بن مطر الزهراني، بتصرف) (٥٠-٥٤).

لا ترغبن عن الحديث وأهله  
ولربما غلط الفتى سبل الهدى  
فالرأي ليل والحديث نهار  
والشمس بازغة لها أنوار<sup>(١)</sup>  
وأحسن من قال:

دين الرسول وشرعه أخباره  
من كان مشتغلاً بها وبنشرها  
و أجل علم يقتنى آثاره  
بين البرية لا عفت آثاره<sup>(٢)</sup>

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن أولى الناس بي يوم القيامة  
أكثرهم عليّ صلاة))<sup>(٣)</sup>. وحسنه غير واحد.

قال ابن حبان بعد إخراج هذا الحديث في صحيحه: (في هذا  
الخبر دليل على أن أولى الناس برسوله صلى الله عليه وسلم في القيامة  
أصحاب الحديث؛ إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاةً عليه منهم)<sup>(٤)</sup>.

وعلى طالب العلم (أن يكثر بسماع الحديث، ولا يهمل الاشتغال  
به، وبعلمه، والنظر في إسناده، ورجاله، ومعانيه، وأحكامه، وفوائده،  
ولغته، وتواريخه، ويعتني بمعرفة أنواعه، صحيحها، وحسنها، وغيرها؛ فإن  
الحديث أحد جناحي العلم بالشرعية، المبين لكثير من الجناح الآخر، وهو  
القرآن، ولا يقنع بمجرد السماع، بل يعتني بالدراية أشد من اعتناؤه

(١) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي) (ص٧٦).

(٢) (البلدانيات، للسخاوي) (ص٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٤٨٤).

(٤) (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، لابن بلبان) (٣/١٩٢، ١٩٣).

بالرواية؛ لأنَّ الدرايةَ هي المقصودُ بنقلِ الحديثِ، وتبليغِهِ<sup>(١)</sup>.

قال أبو حاتم: (قال لي أبو زُرْعَةَ: ما رأيتُ أحرصَ على طلبِ الحديثِ منك، فقلتُ له: إنَّ عبدالرحمنَ ابني لحريصٌ. فقال: مَنْ أشبهَ أباه فما ظلم). قال الرقام: (فسألتُ عبدالرحمنَ عن اتِّفاقِ كثرةِ السماعِ له، وسؤالته لأبيه، فقال: ربَّما كان يأكلُ وأقرأُ عليه، ويمشي وأقرأُ عليه، ويدخلُ الخلاءَ وأقرأُ عليه، ويدخلُ البيتَ في طلبِ شيءٍ وأقرأُ عليه)<sup>(٢)</sup>.

### – الحديثُ بينَ الروايةِ والدرايةِ:

قال الخطيبُ البغداديُّ: (كرهَ مالكٌ، وابنُ إدريسَ، وغيرُهما الإكثارَ من طلبِ الأسانيدِ الغريبةِ، والطرقِ المستنكرة... مما يتَّبَعُ أصحابُ الحديثِ طرقَه، ويُعَنَوْنَ بجمعه؛ والصحيحُ من طرقه أقلُّها، وأكثرُ مَنْ يجمعُ ذلكَ الأحداثُ منهم، فيتحفظونها، ويذاكرونَ بها، ولعلَّ أحدهمَ لا يعرفُ من الصحاحِ حديثاً، وتراه يذكرُ من الطرقِ الغريبةِ، والأسانيدِ العجيبةِ، التي أكثرها موضوعٌ، وجلُّها مصنوعٌ، ما لا ينتفعُ به، وقد أذهبَ من عمره جزءاً في طلبه، وهذه العلةُ هي التي اقتطعتُ أكثرَ مَنْ في عصرنا من طلبَةِ الحديثِ عن التفقهِ به، واستنباطِ ما فيه من الأحكامِ، وقد فعلَ متفقهةُ زماننا كفعالهم، وسلَّكوا في ذلكَ سبيلهم، ورغبوا عن سماعِ السننِ من الحديثين، وشغلوا أنفسهم بتصانيفِ المتكلمين، فكلا الطائفتين

(١) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف (ص ١٢٦ - ١٣٣).

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٣/٢٥٠، ٢٥١).

ضِعَّ ما يَعْنِيهِ، وَأَقْبَلَ عَلَى ما لا فائِدَةَ فِيهِ<sup>(١)</sup>.

### – الحديث بين حفظ الرواية والرعاية:

قال الشيخ بكر أبو زيد: (وَلْيَحْذَرُ أَنْ يَجْعَلَهُ سَبِيلاً إِلَى نَيْلِ الأَعْرَاضِ، وَطَرِيقاً إِلَى أَحْذِ الأَعْوَاضِ، فَقَدْ جَاءَ الوَعِيدُ لِمَنْ ابْتَغَى ذَلِكَ بَعْلِمِهِ.

وَلْيَتَّقِ المَفَاحِرَةَ وَالمَبَاهَةَ بِهِ، وَأَنْ يَكُونَ قَصْدُهُ فِي طَلَبِ الحَدِيثِ نَيْلَ الرِّئَاسَةِ، وَاتِّخَاذَ الأَتْبَاعِ، وَعَقْدَ المَجَالِسِ؛ فَإِنَّ الآفَةَ الدَّاخِلَةَ عَلَى العُلَمَاءِ أَكْثَرُهَا مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

وَلْيَجْعَلْ حَفْظَهُ لِلحَدِيثِ حَفْظَ رِعَايَةٍ لا حَفْظَ رِوَايَةٍ؛ فَإِنَّ رِوَاةَ العُلُومِ كَثِيرٌ، وَرِعَايَتُهَا قَلِيلٌ، وَرُبَّ حَاضِرٍ كَالغَائِبِ، وَعَالِمٍ كَالجَاهِلِ، وَحَامِلٍ لِلحَدِيثِ لَيْسَ مَعَهُ مِنْهُ شَيْءٌ؛ إِذْ كَانَ فِي اطِّرَاحِهِ لِحْكَمِهِ بِمِثْلَةِ الذَّاهِبِ عَنِ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ<sup>(٢)</sup>.

### ١٢ – الأدب مع المعلم:

(قال الشافعيُّ: كُنْتُ أَصْفَحُ الوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيَّ مالِكٍ صَفْحاً رَفِيقاً؛ هَيْبَةً لَهُ، لثَلَا يَسْمَعُ وَقَعَهَا.

وقال الرِّبِّيُّ: وَاللَّهِ ما اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ المَاءَ وَالشَّافِعِيَّ يُنْظَرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي) (١٣٠، ١٢٩).

(٢) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص ٣٨).

(٣) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص ٨٨).

وذكر الخطيبُ أنَّ عليَّ طالبَ العلمِ (أنَّ يصبرَ على جفوةٍ تصدرُ من شيخه أو سوءِ خلقٍ، ولا يصدّه ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته، ويتأولَ أفعاله التي يظهرُ أنَّ الصوابَ خلافُها على أحسنِ تأويلٍ، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار، وينسبَ الموجبَ إليه، ويجعل العتبَ عليه؛ فإنَّ ذلك أبقى لمودة شيخه، وأحفظ لقلبه، وأنفعُ للطالبِ في دنياه وآخرته.

اصبرِ لدائكِ إن جفوتَ طبيبه واصبرِ لجهلك إن جفوتَ معلماً.

وأنَّ يشكرَ الشيخَ على توقيفه على ما فيه فضيلةً، وعلى توبيخه على ما فيه نقیصةً، أو على كسلٍ يعتريه، أو قصورٍ يُعاینه أو غير ذلك مما في إيقافه عليه وتوبيخه، إرشاده وصلاحه، ويعدُّ ذلك من الشيخ من نعم الله تعالى عليه باعتناء الشيخ به ونظره إليه، فإنَّ ذلك أمثلُ إلى قلبِ الشيخ وأبعثُ على الاعتناء بمصالحه<sup>(١)</sup>.

قال أبو هلال العسكريُّ: (وجعل الحكماءُ منزلةَ العلماءِ مثلَ منزلةِ الملكِ فقالوا: من أدبِ الداخلِ على العالمِ، أن يُسلمَ على أصحابه عامَّةً، ويخصّه بالتحية، ويجلسَ قدامه، ولا يشيرَ بيده، ولا يغمزَ بعينه، ولا يقولَ بخلافِ قوله، ولا يغتابَ عنده أحداً، ولا يُسارَّ في مجلسه، ولا يُلحَّ عليه إذا كسل، ولا يُعرضَ عن كلامه، فإنَّه بمنزلةِ النخلة، لا يزالُ يسقطُ عليك منها شيءٌ ينفُك<sup>(٢)</sup>).

(١) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص ٩١ - ٩٣).

(٢) (الحث على طلب العلم، للعسكري) (ص ٨٤).

قال الشيخ بكر أبو زيد: (فليكن شيخك محلَّ إجلالٍ منك وإكرامٍ وتقديرٍ وتلطفٍ، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أو مداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك، أو الإلحاح عليه في جواب، متجنباً الإكثار من السؤال، ولا سيما مع شهود الملاء، فإن هذا يُوجب لك الغرور وله الملل...<sup>(١)</sup>).

### ❖ بم تكون القدوة؟

قال الشيخ بكر أبو زيد: (القدوة بصلاح أخلاقه وكريم شمائله، أما التلقي والتلقين فهو ربح زائد، لكن لا يأخذك الاندفاع في محبة شيخك فتقع في الشناعة من حيث لا تدري، وكل من ينظر إليك يدري، فلا تقلده بصوتٍ ونغمة، ولا مشيةً وحركةً وهيئةً، فإنه إنما صار شيخاً جليلاً بتلك، فلا تسقط أنت بالتبعية له في هذه)<sup>(٢)</sup>.



(١) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص ٢٥).

(٢) (المصدر السابق) (ص ٢٧).

## رابعاً: إضاءات للثبات على الطريق

### ١- من عوائق طلب العلم:

- (طلبُ العلمِ لغيرِ وجهِ اللهِ تعالى).
- تركُ العملِ.
- الاعتمادُ على الكتبِ دونَ العلماءِ.
- أخذُ العلمِ عن الأصاغرِ.
- عدمُ التدرجِ في العلمِ.
- الغرورُ والعُجبُ والكِبْرُ.
- استعجالُ الثمرةِ.
- دنوُّ الهمةِ.
- التَّسْوِيفُ.
- التَّمَنِّيُّ<sup>(١)</sup>.

### ٢- احذرْ هذه الآفاتِ:

- (حُلْمُ اليقظةِ، ومنه بأن تدَّعي العلمَ لِمَا لم تعلمِ، أو إتقانَ ما لم تُتقِنَ، فإن فعلتَ فهو حجابٌ كثيفٌ عن العلمِ).
- ما يتسلَّى به المفلسون من العلمِ، يُراجعُ مسألةً أو مسألتين، فإذا كان في مجلسٍ فيه من يُشارُ إليه، أثارَ البحثَ فيهما، ليظهرَ علمُه!

(١) (عوائق الطلب، لعبد السلام برجس) (ص ٩ - ٧٤).



وكم في هذا من سوءةٍ، أقلها أن يعلمَ أن الناسَ يعلمون حقيقته.

**- إذا ظفرتَ بوهمٍ لعالمٍ، فلا تفرحْ به للحطِّ منه، ولكن افرحْ**

به لتصحيح المسألة فقط، فإنَّ المنصفَ يكادُ يجزمُ بأنه ما من إمامٍ إلا وله أغلاطٌ وأوهامٌ، لا سيَّما الكثيرين منهم.

وما يُشغِبُ بهذا ويفرحُ به للتنقصِ إلا متعالمٌ يريدُ أن يطبَّ زُكاماً فيُحدثَ به جُداماً<sup>(١)</sup>.

قال الصَّنَعَانِيُّ: (وليس أحدٌ من أفرادِ العلماءِ إلا وله نادرةٌ ينبغي أن تُغمَرَ في جنبِ فضله وتُجتنب)<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو هلالٍ العسكريُّ: (ولا يضعُ من العالمِ الذي برعَ في علمه زلةً، إن كان على سبيلِ السهوِ والإغفالِ؛ فإنه لم يَعُرْ من الخطأِ إلا مَنْ عصَمَ اللهُ جلَّ ذكرُهُ. وقد قالتِ الحكماءُ: الفاضلُ مَنْ عُدَّتْ سقطاتُهُ، وليتنا أدركنا بعضَ صوابهم، أو كنَّا ممن يميِّزُ خطأهم)<sup>(٣)</sup>.

**- (لا تجعلُ قلبك كالسفنجةِ تتلقَّى ما يردُّ عليها، فاجتنبِ إثارةَ**

الشُّبهِ وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشُّبهُ خطأفةٌ، والقلوبُ ضعيفةٌ، وأكثرُ مَنْ يُلقِيها حمالةُ الخطبِ - المبتدعةُ - فتوقَّهم)<sup>(٤)</sup>.

(١) حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد، بتصرف (ص٥٧) .

(٢) سبل السلام، للصنعاني (١/١٦٨).

(٣) شرح ما يقع فيه التصحيف، للعسكري (ص٦).

(٤) حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد، بتصرف (ص٥٩).

## - لا تكن خُنْفَشَارِيًّا

قال الشيخ بكر أبو زيد: (الخُنْفَشَارِيُّ المتعالمُ: ما زال الناسُ يُتَتَلَوْنَ بهذا الطَّرَازِ النَكِدِ مِنَ الخُنْفَشَارِيِّينَ، فقد قرأتُ لدى نقلةِ السَّيْرِ، ومُقَيِّدي الأَحْبَارِ والأَثَرِ، مثلاً منها في الغابرين، فعلى جادَّةِ المِثَالِ:

مُفَيِّ الخُنْفَشَارِ: في كتبِ المحاضراتِ أن رجلاً كان يُفَيِّ كلَّ سائلٍ دونَ توقُّفٍ، فلحظَ أقرأه ذلك منه، فأجمَعوا أمرهم لامتحانهِ، بنحتِ كلمةٍ ليسَ لها أصلٌ هي الخُنْفَشَارُ فسألوه عنها، فأجابَ على البديهة: بأنَّه نبتٌ طيبُ الرائحةِ ينبتُ بأطرافِ اليمنِ، إذا أكلتهُ الإبلُ عقَدَ لبنها، قال شاعرهم اليماني:

لقد عقَدتُ محبَّتكم فُوَادِي كَمَا عقَدَ الحَلِيبَ الخُنْفَشَارُ

وهذا الشيخُ محمدُ بدرُ الدينِ الحلبيُّ رحمه اللهُ تعالى سألَ أزهريًّا عن أصيلاً في بيتِ النابغة:

وقفتُ فيها أُصَيْلاً أُسَائِلُهَا عَيْتَ جَوَاباً وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

فقال الأزهريُّ: أُصَيْلٌ بفتحِ الهمزة، وكسرِ الصادِ، ولا نافيةٌ للفعلِ بعدها. فقلنا: لا، بل (أصَيْلاً) كلُّها كلمةٌ واحدةٌ، والفعلُ بعدها مثبتٌ. فضحك، وقال: يقولُ اللهُ ﴿بُكْرَةً وَأُصَيْلاً﴾ [الأحزاب: ٤٢] وتقولون أصيلاً! (١).

(١) (التعالم، لبكر أبو زيد، بتصرف) (ص ١٥، ١٩).

### – تَجَنَّبْ تَتَبِعِ الرَّحْصِ وَالْأَقْوَالِ الشَّاذَّةِ –

قال سليمانُ التَّيْمِيُّ: (إن أخذتَ برخصةِ كلِّ عالمٍ اجتمعَ فيك الشرُّ كُلُّهُ) <sup>(١)</sup>.

وقال الشيخُ بكر: (ولمَّا كان في الشذوذِ والترخُّصِ، منابذةً للشرِّ، صانَ السَّالِفونَ دينَهُم وَعِلْمَهُم عن ذلك، وقد يقعُ لدى الواحدٍ منهم، أو في المذهبِ: المسألةُ أو المسألتان عن عارضٍ مِنَ الاستدلالِ انْقِدَحَ بذهنه لا للتشهيِّ لكن ما يلبثُ أن يُوؤَبَ، أو يقفَ القولُ عندَ قائله، فيهجِرَ ذلكمَ الرأْي، ويسيرُ أهلُ العلمِ على الجادَّةِ، واللهُ الحمدُ والمنةُ) <sup>(٢)</sup>.

وأوصَى خالدُ بنُ يحيى بنِ برمكٍ ابنه، فقال له: (يا بُنَيَّ، خذْ مِنْ كلِّ علمٍ بحظٍّ؛ فَإِنَّكَ إن لم تفعلْ جهلتَ، وإن جهلتَ شيئاً مِنَ العلمِ عاديتَه، وعزيرٌ عليَّ أن تعادي شيئاً مِنَ العلمِ) <sup>(٣)</sup>.

### ٣- كُنْ عَالِيِ الْهَمَةِ:

قال ابنُ الجوزيِّ، متحدِّثاً عن علوِّ الهمةِ: (تأمَّلتُ عجباً، وهو أن كلَّ شيءٍ نفيسٍ خطيرٍ يطولُ طريقُه، ويكثرُ التعبُ في تحصيله، فإنَّ العلمَ لما كان أشرفَ الأشياءِ، لم يحصلْ إلا بالتعبِ، والسهرِ، والتكرارِ، وهجرِ اللذاتِ، والراحةِ، حتَّى قال بعضُ

(١) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (٢/٩٢٧).

(٢) (التعلم، لبكر أبو زيد) (ص ٩٤).

(٣) (جامع بيان العلم، لابن عبد البر) (١/٥٢٣).

الفقهاء: بقيت سنين أشتهي الهريسة لا أقدر؛ لأن وقت بيعها وقت سماع  
الدرس... ولولا ما عانى يوسف عليه السلام، ما قيل له: (أيها الصديق)  
ولقد تأملت نيل الدر من البحر، فرأيتُه بعد معاناة الشدائد، ومن تفكر  
فيما ذكرته مثلاً؛ بانت له أمثال<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً محدثاً ولده عن نشأته:

(وإني لأذكر لك بعض أحوالي، فإني أذكر نفسي ولي همة عالية،  
ولي نحو من ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار، فما أذكر أنني لعبت  
في طريق مع صبي، ولا ضحكت ضحكاً خارجاً، حتى إنني كنت ولي  
سبع سنين أو نحوها، أحضر رحبة الجامع، أطلب المحدث، فيتحدث  
بالسمر الطويل فأحفظ، فأرجع إلى البيت، فأكتبه، ولقد كان الصبيان  
يتزلون دجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر آخذ جزءاً،  
وأقعد حجرة من الناس، إلى جانب الرقة، فأتشاغل بالعلم، وكنت أصبح  
وليس لي ما أكل، وأمسي وليس لي شيء)<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً:

(تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم، فرأيت أكثر الخلق تبيين  
خسارتهم حينئذ؛ فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب، ومنهم من  
فرط في اكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات، فكلهم  
نادم في حالة الكبر، حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت، أو قووى

(١) (صيد الخاطر، لابن الجوزي، بتصرف) (ص ٢٧٠، ٢٦٩).

(٢) (لفتة الكبد في نصيحة الولد، لابن الجوزي، بتصرف) (ص ٣٣ - ٣٥).

ضعفت، أو فضيلة فانتت، فيمضي زمان الكبر في حشرات؛ فإن كانت  
للشيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت؛ قال: وأسفا على ما جئيت! وإن لم  
يكن له إفاقة؛ صار متأسفاً على فوات ما كان يلتذ به.

فأما من أنفق عصر الشباب في العلم، فإنه في زمن الشيخوخة  
يحمد جني ما غرس، ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات  
البدن شيئاً، بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم، هذا مع وجود لذاته في  
الطلب، الذي كان تأمل به إدراك المطلوب، وربما كانت تلك الأعمال  
أطيب مما نيل منها؛ كما قال الشاعر:

أهتر عند تمني وصلها طرباً ورُبُّ أمنيّة أحلى من الظفر<sup>(١)</sup>

قال ابن عقيل: (إني لا يجلي لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى  
إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت  
فكري في حالة راحتي، وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما  
أسطره.

وقال أيضاً: أنا أقصر بغاية جهدي أوقات أكلي، حتى أختار سف  
الكعك وتحسيه بالماء على الخبز؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفراً  
على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدر كها فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) (صيد الخاطر، لابن الجوزي) (ص ٢٣٥، ٢٣٤).

(٢) (ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب) (١/١٤٥، ١٤٦).

## ٤- تحلّ بالصبر وقوة التحمل:

قال أحمد بن سليمان القطيعي: (أضقت إضاقةً، فمضيتُ إلى إبراهيم الحربي؛ لأبثّه ما أنا فيه.

فقال لي: لا يضيقُ صدرك؛ فإنَّ الله من وراء المعونة، وإنِّي أضقتُ مرةً حتى انتهتُ أمري في الإضاقةِ إلى أنْ عدَمَ عيالي قوتهم! فقالت لي الزوجة: هبْ أتي أنا وإياك نصبر، فكيفَ نصنعُ بهاتينِ الصبيتينِ؟ فهاتِ شيئاً من كتبِكَ حتَّى نبيعه أو نرهته. فضننتُ بذلك، وشحَّتُ نفسي بالكتبِ، وقلتُ لها: اقترِضي لهما شيئاً، وأنظريني بقيةَ اليومِ والليلةِ. وكان لي بيتٌ في دهليزِ داري فيه كُتبي، فكنتُ أجلسُ فيه للنسخِ والنَّظرِ، فلَمَّا كانَ في تلكَ الليلةِ إذا داقٌ يدُقُّ البابَ، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: رجلٌ من الجيران. فقلتُ: ادخلْ. فقال: أطفئُ السَّراجَ حتَّى أدخلَ. فكبيتُ على السراجِ شيئاً وقلتُ: ادخلْ. فدخلَ وتركَ إلى جانبي شيئاً وانصرفَ، فكشفتُ عن السَّراجِ، ونظرتُ، فإذا منديلٌ له قيمةٌ، وفيه أنواعٌ من الطعامِ، وكاغدٌ فيه خمسُمائةِ درهمٍ، فدعوتُ الزوجةَ وقلتُ: أنبهي الصبيانَ؛ حتَّى يأكلوا. ولما كانَ من الغدِ قَضِينَا ديناً كانَ علينا من تلكَ الدراهمِ، وكانَ وقتَ مجيءِ الحاجِّ من خراسانَ، فجلستُ على بابي من غدِ تلكَ الليلةِ، فإذا جمَّالٌ يقودُ جَمَلَيْنِ عليهما جِمْلانَ ورقاً، وهو يسألُ عن منزلِ الحربيِّ، فانتَهتُ إليَّ فقلتُ: أنا إبراهيمُ، فحطَّ الجَمَلينِ: وقال: هذانِ الجَمَلانِ أنفَذهما لك رجلٌ من خراسانَ. فقلتُ: مَنْ هو؟ فقال: قد

اسْتَحْلَفَنِي أَنْ لَا أَقُولَ مَنْ هُوَ<sup>(١)</sup>.

قال سفيان الثوري: (فتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة)<sup>(٢)</sup> أي: حبه والافتتان به.

وقال الإمام البخاري: (أفضل المسلمين رجلٌ أحيًا سنَّةً من سُنينِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أُمِيتَتْ؛ فاصبروا يا أصحابَ السُّنينِ رَحِمَكُمُ اللهُ، فَإِنَّكُمْ أَقَلُّ النَّاسِ).

قال الخطيب عقه: (قول البخاري: إِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَقَلُّ النَّاسِ. عَنِي بِهِ الْحِفَاظُ لِلْحَدِيثِ، الْعَالِمِينَ بِطَرَفِهِ، الْمُمَيِّزِينَ لَصَحِيحِهِ مِنْ سَقِيمِهِ، وَقَدْ صَدَقَ رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ) وَتَابَعَ الْخَطِيبُ قَوْلَهُ: (لَأَتَّكَ إِذَا عَتَبْتَ لَمْ تَجِدْ بِلَدًّا مِنْ بِلْدَانِ الْإِسْلَامِ يَخْلُو مِنْ فُقَيْهِ أَوْ مُتَفَقِّهِ، يَرْجِعُ أَهْلُ مِصْرِهِ إِلَيْهِ، وَيَعُولُونَ فِتَاوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَتَجِدُ الْأَمْصَارَ الْكَثِيرَةَ خَالِيَةً مِنْ صَاحِبِ حَدِيثٍ عَارِفٍ بِهِ، مُجْتَهِدٍ فِيهِ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لَصُعُوبَةِ عِلْمِهِ، وَعِزَّتِهِ، وَقِلَّةِ مَنْ يَنْجُبُ فِيهِ مِنْ سَامِعِيهِ وَكَتَبْتِهِ، وَقَدْ كَانَ الْعِلْمُ فِي وَقْتِ الْبُخَارِيِّ غَضًّا، طَرِيًّا، وَالْإِرْتِسَامُ بِهِ مَحْبُوبًا شَهِيًّا، وَالذَّوَاعِي إِلَيْهِ أَكْبَرُ، وَالرَّغْبَةُ فِيهِ أَكْثَرُ، وَقَالَ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي حَكَيْنَاهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ نَقُولُ فِي هَذَا الزَّمَانِ مَعَ عَدَمِ الطَّالِبِ، وَقِلَّةِ الرَّاغِبِ؟!)<sup>(٣)</sup>. وما ذا نقول نحن عن الحال في زماننا؟! فالله المستعان.

(١) (طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى) (١/٨٧-٨٨).

(٢) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي) (ص ١٢٠).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب) (١/١٦٨).

قال ابن عباس: (ذَلَلْتُ طَالِبًا؛ فَعَزَزْتُ مُطْلُوبًا) <sup>(١)</sup>.

وقال: (وَجَدْتُ عَامَّةَ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، إِنْ كُنْتُ لِأَقِيلُ بِيَابِ أَحَدِهِمْ، وَلَوْ شِئْتُ لِأَذِنَ لِي، وَلَكِنْ أَتَّبِعِي بِذَلِكَ طَيْبَ نَفْسِهِ) <sup>(٢)</sup>.

(وقال عبدالرحمن بن حرملة: قد شجني سعيد بن المسيب في العلم مرتين. وقال الأعمش: الخبر في ثياب صاحب الحديث أحسن من الخلق في ثياب العروس) <sup>(٣)</sup>.

وذكر عن أبي حاتم أنه قال: (ضاق بي الحال أيام طلبي العلم، فعجزت عن شراء البزير، فكنت أخرج بالليل إلى الدرب الذي أنزله، وأرتفق بسراج الحارس، وكان ربما ينام الحارس، فكنت أنوب عنه) <sup>(٤)</sup>.

وقال رجل لآخر: بيم أدركت العلم؟

قال: (طلبتُه فوجدته بعيد المرام، لا يُصطاد بالسهم، ولا يُرى في المنام، ولا يُورث عن الأعمام، فتوسلت إليه بافتراش المدر، واستناد الحجر، وإدمان السهر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، ومتابعة السفر، وركوب الخطر، فوجدته شيئاً لا يصلح إلا للغرس، ولا يُغرس إلا في

(١) (المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري) (٤/٤٣٩).

(٢) (الحث على طلب العلم، للعسكري) (ص ٨٣).

(٣) (المصدر السابق) (ص ٦٥).

(٤) (المصدر السابق) (ص ٨٠).



النفس، ولا يُسقى إلا بالدرس<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظُ محمدُ بنُ طاهر المقدسيُّ: (بُلْتُ الدَّمَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِيَعْدَادٍ، وَمَرَّةً بِمَكَّةَ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي حَافِيًا فِي حَرِّ الْهَوَاجِرِ بِهَمَا، فَلَحِقَنِي ذَلِكَ، وَمَا رَكِبْتُ دَابَّةً قَطُّ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَّا مَرَّةً، وَكُنْتُ أَحْمَلُ كُتُبِي عَلَى ظَهْرِي، إِلَى أَنْ اسْتَوَطَنْتُ الْبِلَادَ، وَمَا سَأَلْتُ فِي حَالِ طَلْبِي أَحَدًا، وَكُنْتُ أَعِيشُ عَلَى مَا يَأْتِينِي مِنْ غَيْرِ سَوَالٍ)<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظُ ابنُ القيم: (الصَّبْرُ يُورِثُ صَاحِبَهُ دَرَجَةَ الْإِمَامَةِ، سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ٢٤] )<sup>(٣)</sup>.

#### ٥- احرص ... كلَّ الحرص، على العلم:

قال الحسنُ اللؤلؤيُّ: (غَبَّرْتُ أَرْبَعِينَ عَامًا، مَا قَلْتُ، وَلَا بَتُّ، وَلَا أَتَّكَأْتُ، إِلَّا وَالْكِتَابُ مَوْضُوعٌ عَلَى صَدْرِي)<sup>(٤)</sup>.

وقال عليُّ بنُ الجهم: (إِذَا غَشِيَنِي النَّعَاسُ فِي غَيْرِ وَقْتِ نَوْمٍ - وَبِئْسَ الشَّيْءُ النَّوْمُ الْفَاضِلُ عَنِ الْحَاجَةِ - تَنَاوَلْتُ كِتَابًا مِنْ كِتَابِ الْحِكْمِ، فَأَجِدُ اهْتِرَازِي لِلْفَوَائِدِ، وَالْأُرْيُحِيَّةِ الَّتِي تَعْتَرِينِي عِنْدَ الظَّفْرِ بِبَعْضِ الْحَاجَةِ، وَالَّذِي

(١) (مقامات بديع الزمان الهمذاني، بتصرف) (ص ٣٠٠ - ٣٠٢).

(٢) (تاريخ دمشق، لابن عساكر) (٢٨١/٥٣).

(٣) (مدارج السالكين، لابن القيم) (١٥٤/٢).

(٤) (الحيوان، للجاحظ) (٥٢،٥٣/١).

يَعِشَى قَلْبِي مِنْ سُرُورِ الْاِسْتِبَانَةِ، وَعِزِّ التَّبْيِينِ، أَشَدَّ إِيقَاطًا مِنْ نَهْيِ الْحَمِيرِ،  
وَهَدَاةِ الْهَدْمِ<sup>(١)</sup>.

قال ابن قيم الجوزية: (أما عشاق العلم، فأعظم شغفاً به، وعشقا له من كل عاشق بمعشوقه، وكثير منهم لا يشغله عنه أجمل صورة من البشر.... وحدثني أخو شيخنا، عبدالرحمن بن تيمية عن أبيه قال: كان الجد إذا دخل الخلاء يقول لي: اقرأ في هذا الكتاب، وارفَع صوتك، حتَّى أسمع.

وأعرف من أصابه مرض من صداع، وحمى، وكان الكتاب عند رأسه، فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غلب وضعه، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك، فقال: إن هذا لا يجلُّ لك، فإنك تعين على نفسك، وتكون سبباً لفوات مطلوبك<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عساكر عن سليم بن أيوب الرازي: (حدثت عنه أنه كان يحاسب نفسه على الأنفاس، لا يدع وقتاً يمضي عليه بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ... ولقد حدثني عنه شيخنا أبو الفرج الإسفراييني أنه نزل يوماً إلى داره ورجع، فقال: قد قرأت جزءاً في طريقي<sup>(٣)</sup>.

قال أبو حاتم الرازي: (بقيت بالبصرة في سنة (٢١٤) ثمانية أشهر، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتي، فجعلت أبيع ثياب بدني

(١) (المحسن والأضداد، للحافظ) (ص٤).

(٢) (روضة المحبين، لابن القيم، بتصرف) (ص٧٠).

(٣) (تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، بتصرف) (ص٢٦٣).

شيئاً بعدَ شيءٍ! حتى بقيتُ بلا نفقةٍ! ومضيتُ أطوفُ معَ صديقٍ لي إلى المشيخة، وأسمعُ منهم إلى المساءِ فانصرفتُ رَفِيقِي، ورجعتُ إلى بيتِ خالٍ، فجعلتُ أشربُ الماءَ مِنَ الجوعِ، ثم أصبحتُ مِنَ الغدِ، وغدا عليَّ رَفِيقِي، فجعلتُ أطوفُ معه في سماعِ الحديثِ على جوعٍ شديدٍ، فانصرفتُ عَنِّي، وانصرفتُ جائعاً، فلمَّا كان مِنَ الغدِ، غدا عليَّ، فقال: مرَّ بنا على المشايخ. فقلتُ: أنا ضعيفٌ لا يُمكنُني. قال: ما ضعُفُك؟ قلتُ: لا أكتُمُكَ أمرِي، قد مضى يومانِ ما طعمتُ فيهما<sup>(١)</sup>.

قال أحمدُ بنُ سلمة: (عُقِدَ لأبي الحسينِ مسلمِ بنِ الحجاجِ مجلسٌ للمذاكرة، فذُكِرَ له حديثٌ لم يعرفه، فانصرفتُ إلى منزله، وأوقدَ السراجَ، وقال لمن في الدار: لا يدخلنَّ أحدٌ منكم هذا البيتَ، فقيلَ له: أهديتُ لنا سلةً فيها تمرٌ. فقال: قدّموها إليَّ. فقدّموها، فكان يطلبُ الحديثَ، ويأخذُ ثمرةً ثمرةً، يمضغُها، فأصبحَ وقد فنيَ التمرَ، ووجدَ الحديثَ)<sup>(٢)</sup>.

وقال الصديقيُّ: (لَمَّا بَلَغَ عبدُاللهِ بنُ المباركِ دَفْعَ إليه أبوه خمسينَ ألفَ درهمٍ، يَتَجَرُّ بِهَا، فَطَلَبَ العِلْمَ، حَتَّى أَفْقَدَهَا، فَلَمَّا انصرفتُ، لَقِيَهِ أبوه، فقال: ما جئتَ به؟ فأخرجَ إليه الدَّفَاتِرَ، فقال: هذه تِجَارَتِي. فدخَلَ أبوه المنزلَ، فأخرجَ له أبوه ثلاثينَ ألفَ درهمٍ أُخرى، وقال: هذه تَمَّ بِهَا تِجَارَتُكَ. فَأَنْفَقَهَا)<sup>(٣)</sup>.

(١) (تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي) (٧٤/٢).

(٢) (صيانة صحيح مسلم، لابن الصلاح) (ص٦٤).

(٣) (ترتيب المدارك، للقاضي عياض) (٣٨، ٣٩/٣).

وقال عليُّ بنُ المدينيِّ: (ستةٌ كادتُ تذهبُ عقولُهُم عندَ المذاكرةِ: يحيى القطانُ، وعبدُالرحمنِ بنُ مهديٍّ، ووكيعٌ، وابنُ عُيَيْنَةَ، وأبو داودَ الطيالسيُّ، وعبدُالرزاقِ، مِن شدةِ شهوتِهِم له. وتذاكرُ وكيعٍ وعبدُالرحمنِ ليلةً في المسجدِ الحرامِ، فلم يزالا حتَّى أذنَ المؤذِّنُ أذانَ الصبحِ)<sup>(١)</sup>.

قال الوزيرُ ابنُ العميدِ: (ما كنتُ أظنُّ أنَّ في الدُّنيا حلاوةً ألدَّ من الرئاسةِ والوزارةِ التي أنا فيها، حتَّى شاهدتُ مذاكرةَ الطبرانيِّ والجعابيِّ بحضرتي) ثمَّ قالَ: (فوددتُ في مكاني أنَّ الوزارةَ والرئاسةَ ليتها لم تكن لي، وكنتُ الطبرانيِّ، وفرحتُ مثلَ الفرِح الذي فرِح به الطبرانيُّ)<sup>(٢)</sup>.

(كان الرضي من أهل الفضل، والأدب، والعلم، والذكاء، وحادَّة الخاطر من صغره، ذكره أبو الفتح بن جنِّي في مجموع له جمعه، وذكر في بعض مجاميعه أنَّ هذا المجموعَ سُرقَ منه في طريقِ فارس، وتأوَّه عليه كثيراً، ومات وهو عادمٌ له، ثمَّ إنَّ هذا المجموعَ حصلَ في بعضِ وقوفِ مدينةِ أصبهانَ، ولما توجَّهَ إليها سعيدُ بنُ الدهانِ البغداديُّ، وجدَ المجموعَ المذكورَ، فنقلَ منه مجلداً واحداً)<sup>(٣)</sup>.

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب) (٤١٢/٢).

(٢) (المصدر السابق) (٤١٣/٢).

(٣) (إنباه الرواة، للقفطي) (١١٤/٣).

## ٦- تعرّف على مرتبتك في العلم:

(قيل في مراتب طالب العلم:

المبتدئ: وهو يتوهم بحفظه لبعض المتون، وإتقانه لبعض المسائل،  
أنه غدا في عداد الراسخين، أو من يحق لهم الفتوى، والجسارة على ما  
ليس من حقه.

المتوسط: وهو من فجأته كثرة العلوم، والكتب، واطلاعه على  
علم العلماء ..، فأكسبه ذلك تواضعاً، وانكساراً نفسياً.  
المتنهي: وهو من إذا سألته عن حجم علمه، قال لك: لا أعلم  
شيئاً.

ثم اعلم أن استذكار المرء لكون علمه قليلاً جداً؛ يحفز له مواصلة  
المسير، بقدر ما يتيقن من هذه الحقيقة<sup>(١)</sup>.

قال أبو الحسن الماوردي: (وقلما تجد بالعلم معجباً، وبما أدرك  
مفتخراً، إلا من كان فيه مقصراً؛ لأنه قد يجهل قدره، ويحسب أنه  
نال بالدخول فيه أكثره، فأما من كان فيه متوجهاً، ومنه مستكثراً، فهو  
يعلم من بعد غايته، والعجز عن إدراك نهايته، ما يصدّه عن العجب به.  
وقد قال الشعبي: العلم ثلاثة أشبار: فمن نال شبراً منه شمخ بأنفه، وظن  
أنه ناله، ومن نال منه الشبر الثاني، صغرت إليه نفسه، وعلم أنه لم ينلّه،  
وأما الشبر الثالث، فهيهات، لا يناله أحد أبداً<sup>(٢)</sup>.

(١) (أدب الدنيا والدين، للماوردي) (ص ٥٨، ٥٩).

(٢) (أدب الدنيا والدين، للماوردي) (ص ٨١).

## ٧- عليك بالمدائمة والاستمرار:

قال عبد الرحمن بن مهدي: (إنما مثلُ صاحبِ الحديثِ بمتزلةِ السَّمسارِ، إذا غابَ عن السُّوقِ خمسةَ أيامٍ تَغَيَّرَ بصرُهُ) (١).

وعندما سُئِلَ الإمامُ أحمدُ: إلى متى يكتبُ الرجلُ الحديثَ؟ قال: حتَّى يموتَ (٢).

ورأى رجلٌ معَ الإمامِ أحمدَ محبِّرةً، فقال له: يا أبا عبد الله، أنتَ قد بلَّغْتَ هذا المبلغَ وأنتَ إمامُ المسلمِين. فقال: معي المحبِّرةُ إلى المقبرةِ (٣).  
(وكثرَ من يطلبُ الحديثَ في زمنِ الأعمشِ، فقليلٌ له: يا أبا محمدٍ، ما ترى ما أكثرهم! قال: لا تنظروا إلى كثرتهم، ثلثهم يموتون، وثلثهم يلحقون بالأعمالِ - يعني الوظائفَ - وثلثهم من كلِّ مائةٍ يفلحُ واحدٌ) (٤).

ذكرَ الذهبيُّ في ترجمةِ الصَّفِيِّ الهنديِّ أنَّه روى له حديثين قال: (ليسَا هما عندي، قرأتُهما عليه، ونفسُهُ يشرحُ في الصدرِ، فتوفِّيَ يومئذٍ، عفا اللهُ عنَّا وعنه أمين) (٥).

وذكرَ الدلجِيُّ عن ابنِ مالكٍ شيخِ النُّحاةِ في عصره، أنَّه كان كثيرَ الإشغالِ (التدريس) والاشتغالِ، حتَّى أنَّه حفظَ في اليومِ الذي ماتَ فيه،

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب) (٤١٩/٢).

(٢) (شرف أصحاب الحديث، للخطيب) (ص ٦٨).

(٣) (الآداب الشرعية، لابن مفلح) (٥٨/٢).

(٤) (الجامع، للخطيب) (رقم ٩٦).

(٥) (معجم شيوخ الذهبي) (ص ٥١٧).

خمسة شواهد<sup>(١)</sup>.

وقرأ أبو الفرج ابن الجوزي في آخر عمره، وهو في (الثمانين)،  
القراءات العشر، هو وابنه يوسف، على ابن الباقلاني.  
قال الذهبي مُعلقاً: (فانظر إلى هذه المهمة العالية!)<sup>(٢)</sup>.

### ٨- ارحل في طلب العلم:

(قال الشعبي: رحل مسروق في آية إلى البصرة، فسأل عن الذي  
يفسرها. فأخبر أنه بالشام، فتجهز إلى الشام، حتى سأل عنها.

وقال: ما رأيت أحداً أطلب للعلم في الآفاق من مسروق.  
وقال سعيد بن المسيب: إني كنت لأسير الأيام والليالي في طلب  
الحديث الواحد.

وقال أريدة التميمي: ما سمعت بأرض فيها علم إلا أتيتها)<sup>(٣)</sup>.  
قال أبو الدرداء: (لو أعيتني آية من كتاب الله، فلم أجد أحداً  
يفتحها علي إلا رجل بترك الغماد لرحلت إليه)<sup>(٤)</sup>.

وقال أحمد بن حنبل: (لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم  
منه، رحل إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى الشام، والبصرة، والكوفة، وكان

(١) (الفلاحة والمفلوكون، لأحمد بن علي الدلجي) (ص ٧١).

(٢) (سير أعلام النبلاء) (٣٧٧/٢١).

(٣) (الحث على طلب العلم، للعسكري) (ص ٦١ - ٦٢).

(٤) (فضائل القرآن، للقاسم بن سلام) (ص ١٠١).

من رواة العلم وأهل ذلك، كتّب عن الصغار والكبار<sup>(١)</sup>.

### ٩- لا تستكف عن الاستفادة ممن دونك

قال ابن جماعة: (لا يستكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصبياً أو نسباً أو سنّاً، بل يكون حريصاً على الفائدة حيث كانت، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.... وكان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم، قال الحميدي، وهو تلميذ الشافعي: صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت أستفيد منه المسائل، وكان يستفيد مني الحديث.

وقال أحمد بن حنبل: قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا حتى آخذ به<sup>(٢)</sup>.



(١) (الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي) (ص١٩٦).

(٢) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص٢٨، ٢٩).



## خامساً: إضاءات حول الكتب

### ١- أهمية الكتاب:

قال: أبو الطيب المتنبي:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنْيِ سَرَجٌ سَابِحٌ وخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ  
يقول: (إنَّ سَرَجَ الْفَرَسِ، هُوَ أَعَزُّ مَكَانٍ؛ لِأَنَّهُ يُمْتَطَى لَطَلِبِ  
المَعَالِي، أَوْ مَحَارِبَةِ الْأَعْدَاءِ؛ لِدَفْعِ شَرِّهِمْ؛ أَوْ لِلْهَرَبِ مِنَ الضَّيِّمِ؛ وَاحْتِمَالِ  
الذُّلِّ، وَأَنَّ الْكِتَابَ هُوَ خَيْرُ جَلِيسٍ؛ لِأَنَّهُ مَأْمُونُ الْجَانِبِ؛ فَلَا أَذَى وَلَا  
شَرٌّ؛ وَلَا يَحْتَاجُ فِي مَجَالَسَتِهِ إِلَى مَوْوَنَةٍ؛ فَضْلاً أَنَّهُ يُفَادُ مِنْ آدَابِهِ وَكُلُّ مَا  
يحتويه)<sup>(١)</sup>.

الكتاب: (هو التَّدِيمُ الْكَرِيمُ، وَالْحِذْنُ الْأَمِينُ، الْبَرِيءُ مِنَ الذُّنُوبِ،  
السَّلِيمُ مِنَ الْعِيُوبِ، الَّذِي إِنْ أَدْبَيْتَهُ لَمْ يُبَاعِدْكَ، وَإِنْ أَقْصَيْتَهُ لَمْ يُعَاوِدْكَ،  
وَإِنْ وَاصَلْتَهُ حَمَدْتَهُ، وَإِنْ هَاجَرْتَهُ أَمِنْتَهُ، وَإِنْ اسْتَنْطَقْتَهُ أَسْمَعَكَ، وَإِنْ  
اسْتَكْفَيْتَهُ أَفْنَعَكَ، وَإِنْ اسْتَكْفَفْتَهُ كَفَّ، وَإِنْ اسْتَنْقَلْتَهُ خَفَّ، وَإِنْ دَعَوْتَهُ  
لَبَّأكَ، وَإِنْ اسْتَعْفَيْتَهُ أَعْفَاكَ، لَا يَعْصِي لَكَ أَمْرًا، وَلَا يُحْمَلُكَ إِصْرًا،  
عَرَضُكَ مَعَهُ وَافِرٌ، وَهُوَ لِسِرِّكَ غَيْرُ نَاشِرٍ، أُنِيقُ الْمَنْظَرِ، طَيِّبُ الْمَخْبَرِ، جَمِيلُ  
الْمَشَاهِدِ، كَثِيرُ الْمَحَامِدِ، يَمَلَأُ الْعْيُونَ قُرَّةً، وَالنَّفُوسَ مَسْرَّةً، يُضْحِكُ الْحَزِينَ  
اللَّهْفَ، وَيُلْهِي الْعَضْبَانَ الْأَسْفَ، يَجْتَلِبُ السُّرُورَ، وَيَشْرَحُ الصُّدُورَ، يَطْرُدُ  
الْهَمُومَ وَالْأَحْزَانَ، وَيَنْفِي بَوَاعِثَ الْأَشْجَانِ، مُجَاوِرُهُ أَحْسَنُ مُجَاوِرَةٍ،

(١) (شرح ديوان المتنبي، للدرقوقي) (٣١٩/١).

وَمُسَامَرَتُهُ أَحْلَى مَسَامِرَةٍ، وَمُجَالَسَتُهُ أَنْفَعُ مَجَالَسَةٍ، وَمُؤَانَسَتُهُ أَمْتَعُ مُؤَانَسَةٍ، فِيهِ مَدْعَاةٌ إِلَى الطَّرْبِ، وَمَسْلَاةٌ مِنَ الوَصْبِ، وَتَعَلَّةٌ لِذِي الغَرَامِ، وَتَلْهِيَةٌ لِقَلْبِ المُسْتَهَامِ، وَأُنْسٌ لِلْمُسْتَوْحِشِ، وَرِيٌّ لِلْمَتْعَطِّشِ، وَعِمَارَةٌ لِلْمَجَالِسِ، وَحِلْيَةٌ لِلْمُؤَانِسِ، تُلْقِي القلوبُ مَحَبَّتَهَا عَلَيْهِ، وَتَمِيلُ النُفُوسُ بِكَلِمَتِهَا إِلَيْهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَبَاتِ القلوبِ حِجَابٌ، وَلَا يُغْلَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُويْدَاوَاتِهَا بَابٌ<sup>(١)</sup>.

قال الخطيب البغدادي: (ومع ما في الكتب من المنافع العظيمة، والمفاخر العظيمة، فهي أكرم مال، وأنفس جمال، والكتاب آمن جليس، وأسر أنيس، وأسلم نديم، وأفصح كلیم)<sup>(٢)</sup>.

وقد أورد الخطيب بإسناده عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَثْرٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، قال: (ما كان ذلك ذهباً ولا فضةً)، قال: (صحفاً علماً)، وعلق الحسن بن صالح على ذلك، فقال: (وأي كثر أفضل من العلم؟)<sup>(٣)</sup>.

(قالت الحكماء: الكتاب نعم الجليس والذخر، إن شئت ألهمتك بوادره، وأضحكتك نوادره، وإن شئت أشجنتك مواعظه، وإن شئت تعجبت من غرائب فوائده، وهو يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والغائب والحاضر، والشكل وخلافه، والجنس وضده، وهو ميث

(١) (مطالع البدور، للغزولي) (١٧٥/٢، ١٧٦).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب، بتصرف) (ص ٢٩٩).

(٣) (المصدر السابق بتصرف) (ص ٢٩٣).

يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى، وَيُتْرَجِّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ، وَهُوَ مُؤَنَسٌ يَنْشَطُ بِنَشَاطِكَ، وَيَنَامُ  
بِنَوْمِكَ، وَلَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا تَهْوَى<sup>(١)</sup>.

الكتابُ: (مَعَ خِفَّةِ نَقْلِهِ، وَصِغَرِ حَجْمِهِ؛ صَامَتْ مَا أَسْكَنَتْهُ، وَبَلِيغٌ  
مَا اسْتَنْطَقَتْهُ، وَمَنْ لَكَ بِمَسَامِرٍ لَا يَتَّيْدِيكَ فِي حَالِ شُغْلِكَ، وَيَدْعُوكَ فِي  
أَوْقَاتِ نَشَاطِكَ، وَلَا يُحَوِّجُكَ إِلَى التَّجَمُّلِ لَهُ، وَالتَّذَمُّمِ مِنْهُ، وَمَنْ لَكَ  
بِزَائِرٍ إِنْ شِئْتَ جَعَلَ زِيَارَتَهُ غِيَابًا، وَوُرُودَهُ حَمْسًا، وَإِنْ شِئْتَ لَزِمَكَ لُزُومٌ  
ظَلُّكَ، وَكَانَ مِنْكَ مَكَانَ بَعْضِكَ)<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْجَاهِظُ: (وَرِاثَةُ الْكُتُبِ الشَّرِيفَةِ، وَالْأَبْوَابِ الرَّفِيعَةِ، مَبْهَةٌ  
لِلْمُورَثِ، وَكَثْرٌ عِنْدَ الْوَارِثِ، إِلَّا أَنَّهُ كَثْرٌ لَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ، وَلَا حَقُّ  
السُّلْطَانِ، وَإِذَا كَانَتِ الْكُنُوزُ جَامِدَةً، يُنْقِصُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا، كَانَ ذَلِكَ  
الْكَثْرُ مَانِعًا يَزِيدُهُ مَا أُخِذَ مِنْهُ؛ وَلَا يَزَالُ بِهَا الْمُورَثُ مَذْكُورًا فِي الْحِكْمَاءِ،  
وَمُنَوَّهَا بِاسْمِهِ فِي الْأَسْمَاءِ، وَإِمَامًا مَتَّبِعًا، وَعَلَمًا مَنْصُوبًا، فَلَا يَزَالُ الْوَارِثُ  
مَحْفُوظًا، وَمِنْ أَجْلِهِ مَحْبُوبًا مَمْنُوعًا، وَلَا تَزَالُ تِلْكَ الْحَبِيبَةُ نَامِيَةً، مَا كَانَتْ  
تِلْكَ الْفَوَائِدُ قَائِمَةً؛ وَلَنْ تَزَالَ فَوَائِدُهَا مَوْجُودَةً، مَا كَانَتْ الدَّارُ دَارَ  
حَاجَةٍ، وَلَنْ يَزَالَ مِنْ تَعْظِيمِهَا فِي الْقُلُوبِ أَثْرٌ، مَا كَانَ مِنْ فَوَائِدِهَا عَلَى  
النَّاسِ أَثْرٌ)<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الشَّيْخُ حَاتِمُ الْعَوْنِيِّ: (أَمَّا طَالِبُ الْعِلْمِ الَّذِي يَقُولُ: يُغْنِينِي

(١) (الحيوان، للجاحظ، بتصرف) (٣٨/١ - ٤٠).

(٢) (المصدر السابق) (٥٠/١).

(٣) (الحيوان، للجاحظ) (١٠٠/١).

كتابٌ عن كتاب، فليسَ بطالبِ علمٍ! ولا يريدُ أن يكونَ طالبَ علمٍ،  
فإنَّهُ لا يُعني كتابٌ عن كتابٍ قطُّ، بل: لا تُعني طبعَةٌ عن طبعَةٍ أخرى له!

وطالبُ العلمِ الَّذي يقولُ: لا أشتريُّ كتاباً، حتىَّ أقرأ وأدرسَ  
الكتابَ الَّذي عندي، فلا يُفليحُ في العلمِ أبداً! فإنَّ شراءَ الكتبِ وحده  
عبادةٌ يُوجِرُ عليها فاعلُها، لوجوهٍ، منها: أنّها ممَّا لا ينقطعُ العملُ به بعدَ  
الموتِ، حيثُ تبقى فينتفعُ بها من بعده.

ثمَّ إنَّ تكوينَ المكتبةِ العامرةِ يُشبهُ طلبَ العلمِ من جهتينِ: الأولى:  
كما أنَّ طلبَ العلمِ لا يكونُ جملةً في أيامٍ وليالٍ، كذلكُ تكوينُ المكتبةِ،  
لا يمكنُ أن يتمَّ إلاَّ من خلالِ مُتابعةٍ للجديدِ من الكتبِ في عالمِ  
المطبوعاتِ؛ حيثُ إنَّ الكتبَ كثيرةٌ جدًّا، وهناكُ كتبٌ نادرةٌ، وكتبٌ  
سُرعاناً ما تُنفدُ من الأسواقِ، فمنَ لم يُبادِرْ بشرائها فاتته.

الثانية: أنَّ طلبَ العلمِ يُلجئُ طالبَ العلمِ إلى دراسةِ مسائلَ ما  
كانَ يظنُّ قبلَ ذلكَ أنّه سيحتاجُ دراستها، وكذلكُ تكوينُ المكتبةِ؛ فإنَّ  
شراءَ الكتابِ ومعرفةً لما فيه يدلُّك على كتابٍ آخر، ربّما لم تسمعَ  
به، وربّما سمعتَ به، ولم تظنَّ أنّك محتاجٌ إليه؛ فالحاجةُ للكتبِ تنمو مع  
نموِّ طلبك للعلم<sup>(١)</sup>.

(١) (نصائح منهجية، لحاتم العوني، بتصرف) (ص ٧٤، ٧٣).

## ٢- عِشْقُ عَجِيبٌ لِلْكَتَبِ:

(بِيعَتْ كِتَابُ ابْنِ الْجَوَالِيْقِيِّ فِي بَغْدَادَ، فَحَضَرَهَا الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ، فَنَادَوْا عَلَى قِطْعَةٍ مِنْهَا: سِتِينَ دِينَارًا، فَاشْتَرَاهَا الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ بِسِتِينَ دِينَارًا، وَالْإِنْظَارُ مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ إِلَى يَوْمِ الْخَمِيسِ. فَخَرَجَ الْحَافِظُ، وَاسْتَقْبَلَ طَرِيقَ هَمْدَانَ، فَوَصَلَ، فَنَادَى عَلَى دَارٍ لَهُ، فَلَبَّتْ سِتِينَ دِينَارًا. فَقَالَ: بِيَعُوا. قَالُوا: تَبْلُغُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: بِيَعُوا. فَبَاعُوا الدَّارَ بِسِتِينَ دِينَارًا فَقَبَضَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ. فَدَخَلَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ، فَوَفَّى ثَمَنَ الْكِتَابِ. وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ بِجَالِهِ إِلَّا بَعْدَ مَدَّةٍ)<sup>(١)</sup>.

(وَكَانَ لِأَبِي الْحَسَنِ الْفَالَيْيِّ، الْأَدِيبِ اللَّغَوِيِّ، نَسْخَةٌ فِي غَايَةِ الْجُودَةِ مِنْ كِتَابِ (الْجَمْهَرَةِ) لِابْنِ دُرَيْدٍ، دَعَتْهُ الْحَاجَةُ إِلَى بَيْعِهَا، فَاشْتَرَاهَا الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى بِسِتِينَ دِينَارًا، فَلَمَّا تَصَفَّحَهَا، وَجَدَ بِهَا أَيْبَاتًا بَخِطٌ بِأَيْبَاتِهَا: أَنْسْتُ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَبِعْتُهَا لَقَدْ طَالَ وَجَدِي بَعْدَهَا وَحَنِينِي وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنَّنِي سَأَبِيْعُهَا وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَافْتِقَارٍ وَصِيبَةٍ فَقَلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقَ عَبْرَةٍ وَقَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ كِرَائِمَ مِنْ رَبِّ بَهِنَّ ضَانِينَ فَرَدَّ الشَّرِيفُ الْكِتَابَ عَلَيْهِ، وَوَهَبَهُ الْمَالَ)<sup>(٢)</sup>.

(١) (ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب) (١/٣٢٨).

(٢) (وفيات الأعيان، لابن خلكان، بتصرف) (٣/٣١٦).

وهذا (المستنصر بالله الأموي، صاحب الأندلس، كان محباً للعلم والعلما، جمع من الكتب ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ كثرةً ونفاًسةً، مع العلم والنباهة.

وكان يَسْتَجْلِبُ المصنَّفاتِ من الأقاليم والنواحي، باذلاً فيها ما أمكن من الأموال، حتَّى ضاقت عنها خزائنه، وكان ذا غرامٍ بها، قد آثرَ ذلك على لذاتِ الملوك<sup>(١)</sup>.

قال ابن الأبار: (وقلَّ ما نجدُ له كتاباً من خزائنه، إلا وله فيه قراءة، أو نظرٌ في أيِّ فنٍّ كان، ويكتبُ فيه نسبَ المؤلِّفِ، ومولده، ووفاته، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكادُ توجدُ إلاَّ عنده؛ لعنايته بهذا الشأن)<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن الخشاب النحوي، له كتبٌ كثيرةٌ إلى الغاية ما لا يدخلُ تحتَ الحصرِ، ومن خطوطِ الفضلاءِ، وأجزاءِ الحديثِ شيئاً كثيراً.

وقد ذكر ابن النجار، أنَّه لم يمت أحدٌ من أهل العلم، وأصحابِ الحديثِ إلا وكان يشتري كتبه كلها، فحصلت أصولُ المشايخ عنده. وكان لا يخلو كُفُّه من كتبِ العلم، وكان يُديمُ القراءةَ من غيرِ فتورٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) (تاريخ الإسلام، للذهبي، بتصرف) (٢٦/٣٥٨ - ٣٥٩).

(٢) (مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي) (ص ٢٣٢).

(٣) (ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب) (١/٣١٧، ٣٢٠، ٣١٩).

و(فارقَ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ الخزرَجِيِّ الدُّنْيَا، ولم تكنْ هُمْتُهُ مصروفَةً، إلا إلى العلمِ وأسبابِهِ، أقتنى مِنَ الكُتُبِ جَمَلَةً وافرةً، سِوَى ما نَسَخَ بِخَطِّهِ الرَّائِقِ، وامْتَحَنَ فِيهَا مَرَّاتٍ بِضُرُوبٍ مِنَ الجِوَاهِرِ، كالغُرُقِ، والنَّهْبِ، بِغَرْنَاطَةَ، فَقَدْ كَانَ اسْتَصْحَبَ إِلَيْهَا مِنْ مَرَّاكُشَ خَمْسَةَ أَحْمَالٍ، وَلَمَّا فَصَلَ عَنْهَا تَرَكَهَا مَعَ ما صَارَ لَهُ مِنْهَا مَدَّةٌ مُقَامِهِ بِهَا، فَأَتَى عَلَيْهِ النَّهْبُ فِي الكائِنَةِ عَلَى أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، وَفَرَّ مَعْظَمُ النَّاسِ عَنْ مَنَازِلِهِمْ، فَكَانَ مِمَّنْ فَرَّ عَنْ مَتْرَلِهِ عِيَالُ أَبِي العَبَّاسِ هَذَا، وَبَعْضُ وَلَدِهِ الَّذِينَ تَرَكَهُمْ بِهَا حِينَ تَوَجَّهَ إِلَى مَرَّاكُشَ، فَنَهَبَ ما كَانَ بَدَارِهِ مِنْ كُتُبٍ وَغَيْرِهَا)<sup>(١)</sup>.

قالَ الحُضْرَمِيُّ: (أَقَمْتُ مَرَّةً بِقَرطِبَةَ، وَلازِمْتُ سِوَقَ كُتُبِهَا مَدَّةً، أَتَرَقَّبُ فِيهَا وَقِوَعَ كُتَابِ كَانِ لِي بِطَلْبِهِ اعْتِنَاءً، إِلَى أَنْ وَقَعَ وَهُوَ بِخَطِّ جَيِّدٍ، وَتَسْفِيرٍ [تَجْلِيدٍ] مَلِيحٍ، فَفَرِحْتُ بِهِ أَشَدَّ الفَرَحِ، فَجَعَلْتُ أَزِيدُ فِي ثَمَنِهِ، فَيَرْجِعُ إِلَيَّ المُنَادِي بِالزِّيادَةِ عَلَيَّ، إِلَى أَنْ بَلَغَ فَوْقَ حَدِّهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يا هَذَا، أَرِنِي مَنْ يَزِيدُ فِي هَذَا الكُتَابِ، حَتَّى بَلَغَهُ إِلَى ما لا يُساوِي. قالَ: فَأَرَانِي شَخْصاً عَلَيْهِ لِبَاسُ رِياسَةٍ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، وَقُلْتُ لَهُ: أَعَزَّ اللهُ سَيِّدَنَا الفَقِيهَ، إِنْ كانَ لَكَ غَرَضٌ فِي هَذَا الكُتَابِ تَرَكَتُهُ لَكَ، فَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الزِّيادَةُ بَيْنَنَا فَوْقَ حَدِّهِ.

قالَ: فَقَالَ لِي: لَسْتُ بِفَقِيهٍ، وَلا أَدْرِي ما فِيهِ، وَلَكِنِّي أَقَمْتُ خَزانَةَ كُتُبٍ، وَاحْتَفَلْتُ فِيهَا؛ لِأَجْمَلِ بِهَا بَيْنَ أَعْيانِ البَلَدِ، وَبَقِيَ فِيهَا مَوْضِعٌ يَسَعُ هَذَا الكُتَابِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ حَسَنَ الخَطِّ جَيِّدَ التَّجْلِيدِ اسْتَحْسَنْتُهُ،

(١) (الذيل والتكملة، للمراكشي، بتصرف) (٢٢٩/١).

ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق، فهو كثير<sup>(١)</sup>.

علق الشيخ عبدالكريم الخضير بقوله:

(إذا وصل جمع الكتب والعناية بها إلى هذا الحد، صارت مما يلهي ويشغل، فيدخل دُخولاً أو لئياً في قوله تعالى ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] لأنه مجرد تكاثر<sup>(٢)</sup>).

وقال الحافظ زكي الدين عبدالعظيم: (كان السلفي معرياً بجمع الكتب، والاستكثار منها، وما كان يصل إليه من المال يُخرجه في شرائها. وكان عنده خزائن كتب، ولا يتفرغ للنظر فيها، فلما مات وجدوا معظم الكتب في الخزائن قد عفنت، والتصق بعضها في بعض؛ لنداوة الإسكندرية، وكانوا يستخلصونها بالفأس فتلف أكثرها<sup>(٣)</sup>).

قال عبدالله بن الإمام أحمد: (نزلنا بمكة داراً، وكان فيها شيخ يُكنى بأبي بكر بن سماعة - وكان من أهل مكة - قال: نزل علينا أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل في هذه الدار، وأنا غلام، فقالت لي أمي: الزم هذا الرجل فاخدمه؛ فإنه رجل صالح. فكنت أخدمه، وكان يخرج يطلب الحديث، فسرق متاعه، وقماشه، فجاء يوماً، فقالت له أمي: دخل عليك السراق، فسرقوا قماشك. فقال: ما فعلت الألواح؟ فقالت له أمي:

(١) (نفتح الطيب، للمقري) (٤٦٣/١).

(٢) (محاضرة كيف يبني طالب العلم مكتبته).

(٣) (تاريخ الإسلام) (٢٠٤/٤٠ - ٢٠٥).



في الطَّاقِ. وما سألَ عن شيءٍ غيرِها<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ الجهم: (إذا استحسنْتُ الكتابَ، واستجدَّتهُ، ورجوتُ منه الفائدةَ، ورأيتُ ذلكَ فيه، فلو تراي وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ، أنظرُ كم بقيَ من ورقِه؛ مخافةً استنفادِه، وانقطاعِ المادَّةِ من قبِلِه، وإن كانَ المصحفُ عظيمَ الحجمِ كثيرَ الورقِ، كثيرَ العددِ، فقد تمَّ عيشي، وكملَ سُروري. وذكرَ العتيبيُّ كتاباً لبعضِ القدماءِ فقال: لولا طولُه وكثرةُ ورقِه لَنَسَخْتُهُ. فقال ابنُ الجهم: لكنِّي ما رغبني فيه إلاَّ الَّذي زهدك فيه؛ وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً، فأخلاني من فائدةٍ، وما أُحصي كم قرأتُ من صغارِ الكتبِ، فخرجتُ منها كما دخلتُ)<sup>(٢)</sup>.

قال المقرئُ في وصفِ قرطبةَ:

(وهي أكثرُ بلادِ الأندلسِ، كتباً وأشدُّ الناسِ اعتناءً بخزائنِ الكتبِ، صارَ ذلكَ عندهم من آلاتِ التعيينِ، والرئاسةِ، حتَّى إنَّ الرَّئيسَ منهم الَّذي لا تكونُ عندهُ معرفةٌ، يحتفلُ في أن تكونَ في بيتهِ خزانةُ كتبٍ، وينتخبُ فيها ليسَ إلاَّ لأنَّ يُقالَ: فلانٌ عندهُ خزانةُ كتبٍ، والكتابُ الفلانيُّ ليسَ هو عندَ أحدٍ غيرِه، والكتابُ الَّذي هو بخطُّ فلانٍ، قد حصَّله وظفرَ به)<sup>(٣)</sup>.

(١) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (١٧٩/٩).

(٢) (المحاسن والمساوي، لإبراهيم البيهقي) (١٣/١).

(٣) (نفتح الطيب، للمقرئ) (٤٦٢/١).

وعن محمد بن سليمان الجوهري قال: (كنا نصحب الجاحظ على سائر أحواله، من جد، وهزل، قال: فخرجنا يوماً لترهه، فبينما نحن على باب جامع البصرة، ننتظر شيئاً أردناه، إذ عارضتنا امرأة، معها أوراق مقطعة، فعرضت ذلك علينا، فلم نجد فيها طائلاً، فتركناها وانصرفنا، وتخلف معنا الجاحظ، ونحن ننتظره، فأطال، ثم رأيناه قد وزن لها شيئاً، وأخذ الأوراق؛ وقال: انتظروني. ومضى بها إلى منزله، فلما عاد أخذنا نهرأ به، ونقول: فزت بقطعة من العلم وافرّة. وضحكنا، فقال: أنتم حمقى، والله إن فيها ما لا يوجد إلا فيها، ولكنكم جهال لا تعرفون النّفس من الخسيس)<sup>(١)</sup>.

(وكان - أي أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن القصري - فقيهاً، صالحاً، ورعاً، سريع الدمعة، له عناية بالعلم، والروايات، وتصحيح الكتب، وجمعها، وكان يقول: لي أربعون سنة ما جف لي قلم - يعني من كثرة ما ينسخ بالليل والنهار - وكان ربّما باع بعض ثيابه، واشترى بثمنه كتاباً، أو رُقوقاً، لنسخ الكتب!

قال أبو بكر المالكي: ووصل إلى مدينة سوسة برسم زيارة يحيى بن عمر، فوجده ألف كتاباً، فلم يجد ما يشتري به رقاً يكتبه فيه، فباع قميصه الذي كان عليه! واشترى بثمنه رُقوقاً، وكتب الكتاب وقابله، وأتى به معه إلى القيروان)<sup>(٢)</sup>.

(١) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص ١٣٨).

(٢) (صفحات من صبر العلماء، لأبي غدة) (ص ١٩٣، ١٩٤).

قال ياقوت الحموي عن الحسن بن حمدون: (كَانَ مِنَ الْمُحِبِّينَ لِلْكِتَابِ، وَاقْتِنَائِهَا، وَالْمُبَالِغِينَ فِي تَحْصِيلِهَا، وَشِرَائِهَا، وَحَصَلَ لَهُ مِنْ أَصُولِهَا الْمُتَّقِنَةِ، وَأُمَّهَاتِهَا الْمَعِينَةِ، مَا لَمْ يَحْصُلْ لِأَحَدٍ، وَكَانَ مَعَ اغْتِبَاطِهِ بِالْكِتَابِ وَمُنَافَسَتِهِ، وَمُنَاقَشَتِهِ فِيهَا، جَوَادًا بِإِعَارَتِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي يَوْمًا، وَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ مَسَارَعَتِهِ إِلَى إِعَارَتِهَا لِلطَّلِبَةِ: مَا بَخِلْتُ بِإِعَارَةِ كِتَابٍ قَطُّ، وَلَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ رَهْنًا، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ فَقَدَ كِتَابًا فِي عَارِيَةٍ قَطُّ، فَقُلْتُ: الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَخُلُوصُ نِيَّتِكَ فِي إِعَارَتِهَا لِلَّهِ، حَفِظَهَا عَلَيْكَ<sup>(١)</sup>).

قال الشيخ بكرى الكاتب في ترجمته للشيخ أحمد بن قاسم الشهير بالحجّار: (وَبَلَغَتْ قِيَمَةُ مَكْتَبَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، أَرْبَعِينَ أَلْفًا، مَعَ أَنَّهَا بِيَعَتْ بِغَيْرِ أَثْمَانِهَا! وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَجِبُ اقْتِنَاءَ الْكِتَابِ، حَتَّى سَمِعْنَا أَنَّهُ رَأَى كِتَابًا يُبَاعُ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ دَرَاهِمٌ، وَكَانَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ، فَزَعَّ بَعْضُهَا وَبَاعَهُ وَاشْتَرَى الْكِتَابَ فِي الْحَالِ)<sup>(٢)</sup>.

قال أبو هفان: (لَمْ أَرِ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ مَنْ أَحَبَّ الْكِتَابَ وَالْعُلُومَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ: الْجَاحِظِ، وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، فَأَمَّا الْجَاحِظُ فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا وَقَعَ فِي يَدِهِ كِتَابٌ قَرَأَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، أَيُّ كِتَابٍ كَانَ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَكْتَرِي دَكَكِينَ الْوَرَّاقِينَ، وَيَبِيْتُ فِيهَا لِلنَّظَرِ).

وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، فَإِنِّي مَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَطُّ إِلَّا

(١) (معجم الأدباء، لياقوت الحموي، بتصرف) (٣/١٠١٣).

(٢) (صفحات من صبر العلماء، لأبي غدة) (ص ٢٧٨).

رأيتُهُ وفي يده كتابٌ ينظرُ فيه، أو يُقلِّبُ الكُتُبَ؛ لطلبِ كتابٍ ينظرُ فيه، أو ينفِضُ الكُتُبَ<sup>(١)</sup>.

في ترجمة العلامة النَّحويِّ، أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب، أنَّ (سببَ وفاته؛ أنه خرجَ من الجامعِ يومَ الجُمُعَةِ بعدَ العصرِ، وكانَ قد لحقه صَمَمٌ لا يَسْمَعُ إلاَّ بعدَ تعبٍ، وكانَ في يده كتابٌ ينظرُ فيه في الطريقِ، فصدَّمته فرسٌ، فألقته في هُوَّةٍ، فأُخْرِجَ منها وهو كالمختلِطِ، فحُمِلَ إلى منزله على تلكَ الحالِ، وهو يتأوَّهُ من رأسِهِ، فماتَ ثانيَ يومٍ)<sup>(٢)</sup>.

قالَ الشيخُ محمد جمال الدين القاسميُّ:

(صادفَ ليلةَ أُهديَ إليَّ كتابٌ وكنتُ في صداعٍ، وقد عقَدَ آلي حَوَليَ الاجتماعِ، وأنا أُقاسي مِنَ الآلامِ، ما يمنعني مِنَ الكلامِ، فلمَّا ناولنيه شقيقِي بعدَ العشاءِ رأيتني وقد سرى إليَّ نسيمُ النشاطِ والشفاءِ، فغالبتُ نفسي، ونبَّهتُ لمطالعتهِ قلبي وحسِّي، وقلتُ: لَأتأسَّينَ بشيخِ الإسلامِ الأنصاريِّ؛ فقدَ كانَ يستشفى بمطالعةِ العلمِ ومذاكرةِ أُولي الفطنةِ والفهمِ، وبقيتُ أسامرُهُ معظمَ اللَّيلِ، وهو يرقُّ لي، ويُنيِّلني مِنَ مُنادمتهِ أعظمَ النَّيْلِ، وقد أصبحتُ بحمدِ اللهِ وما بي أَلْمٌ)<sup>(٣)</sup>.

### ❖ مِنَ الَّذِينَ عُنُوا بِجَمْعِ الْكُتُبِ:

- (القاضي الفاضلُ الكاتبُ المشهورُ، وكانَ عندهُ مِنَ الكُتُبِ ما

(١) (تاريخ الإسلام، للذهبي) (٣٧٥/١٨).

(٢) (وفيات الأعيان، لابن خلكان) (١٠٤/١).

(٣) (الرسائل المتبادلة، للعجمي، بتصرف) (ص ١٢٠، ١٢١).

يملأ البيوت حتى كان عنده من (صحيح الجوهري) ست عشرة نسخة.  
 - الوزير القفطي، اشتهر بحبه للكتب، وكلفه بجمعها، ووصفه  
 عصره ياقوت الحموي، بأنه جماعة للكتب، حريص عليها.  
 - صاحب بن عباد، وكان يملك هو والقاضي الفاضل من  
 كبريات خزائن الكتب القديمة، فقد تجاوز عدد كتب كل منهما  
 (١٠٠٠٠٠) مجلد.

- أبو مطرف القاضي بقرطبة، جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد  
 من أهل عصره في الأندلس، وكان عنده ستة وراقين، ينسخون له  
 باستمرار<sup>(١)</sup>.

### ٣- شراء الكتب:

(على الإنسان أن يكون متوسطاً في أموره كلها، فما يحتاجه من  
 الكتب يقتنيه، وما ينفعه عند المراجعة يقتنيه، أما أن يجمع كل كتاب  
 يسمع عنه يحتاجه، أو لا يحتاجه؛ ليقال: إن عنده من كل كتاب نسخة  
 فهذه مصيبة!

إن الفائدة من جمع الكتب تحصيل العلم الشرعي، والعلم الشرعي  
 من أمور الأخرى المحضة، التي لا يجوز التشريك فيها، فإذا دخلت التوايا  
 مثل أن يقال: إن عند فلان مكتبة، أو عنده أكبر مكتبة خاصة، فهذه  
 حقيقة مرة، وقدح ظاهر في الإخلاص، وإن وجدت عند بعض المتعلمين،

(١) من محاضرة (كيف يبني طالب العلم مكتبته، للخضير، بتصرف).

نسأل الله السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ<sup>(١)</sup>.

قال الخطيب: (ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراءً، وإلا فإجارة أو عارية، ولا يجعل تحصيلها، وكثرتها حظه من العلم، وجمعها نصيبه من الفهم، كما يفعله كثير من المنتحلين للفقهِ والحديث.

وقد أحسن القائل:

إذا لم تكن حافظاً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع  
وينبغي للمستعير أن يشكر للمُعير، ويحزيه خيراً، ولا يطيل مقام  
الكتاب عنده من غير حاجة، ولا يحشيه، ولا يكتب شيئاً فيه، إلا إذا  
علم رضا صاحبه، ولا يعير غيره، ولا يودعه لغير ضرورة، ولا ينسخ منه  
بغير إذن صاحبه<sup>(٢)</sup>.

وقال الجاحظ: (الإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه، ولا بد من أن  
تكون كتبه أكثر من سماعه، ولا يعلم، ولا يجمع العلم، ولا يختلف إليه،  
حتى يكون الإنفاق عليه من ماله، ألدَّ عنده من الإنفاق من مال عدوه،  
ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ألدَّ عنده من إنفاق عشاق  
القيان، والمستهترين بالبيان، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضياً، وليس ينتفع  
بإنفاقه، حتى يؤثر اتخاذ الكتب إثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله،

(١) من محاضرة (كيف يبني طالب العلم مكتبته، للخضير).

(٢) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف). (ص ١٦٩، ١٦٨، ١٦٤).

وحتى يُؤمّل في العلم ما يُؤمّل الأعرابيُّ في فرسيه<sup>(١)</sup>.

وقال الخطيبُ: (اشترى رجلُ كتاباً، فقيلَ له: اشتريتَ ما ليسَ منَ علمِكَ، فقال: اشتريتُ ما ليسَ منَ علمي، ليصيرَ منَ علمي. وقيلَ لآخر: ألا تشتري كتاباً تكونُ عندك؟! فقال: ما يمنعني من ذلك إلا أنني لا أعلم، فقيلَ: إنَّما يشتريها من لا يعلم، حتى يعلم. وكانَ آخرُ يشتري كلَّ كتابٍ يراه، فقيلَ له: إنَّك لتشتري ما لا تحتاجُ إليه. فقال: ربَّما احتجتُ إلى ما لا أحتاجُ إليه.

وكانَ بعضُ القضاةِ يشتري الكتبَ بالدينِ والقرضِ، فقيلَ له في ذلك، فقال: أفلا أشترى شيئاً، بلغَ بي هذا المبلغُ؟ قيلَ: فإنَّك تُكثِرُ؛ فقال: على قدرِ الصنّاعةِ، تكونُ الآلةُ<sup>(٢)</sup>.

### ❖ حول اختيار الطبعات:

قالَ الدكتورُ محمود الطناحيُّ: (واجبٌ على طالبِ العلمِ أن يعرفَ فرقاً ما بينَ الطبعاتِ، فإنَّ كثيراً من كتبِ التراثِ، قد طُبِعَ مرتينِ أو أكثرَ، وتفاوتتْ هذه الطبعاتُ فيما بينها كمالاً ونقصاً، وصحةً وسقماً، ولا بدَّ أن يكونَ رجوعُ الطالبِ إلى الطبعةِ المستوفيةِ لشرائطِ الصحةِ والقبولِ وهذه الشرائطُ ظاهرةٌ لائحةٌ لمن يتأمَّلها، وتتمثلُ في التقديمِ للكتابِ، وبيانِ وزنه العلميِّ، وفهرستهِ فهرسةً فنيَّةً تتكشفُ عن كنوزه

(١) (الحيوان، للجاحظ) (٥٥/١).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص ١٣٧).

وَحَبَايَاهُ، وَالْعَنَائِيَّةُ بِضَبِّهِ الضَّبُّ الصَّحِيحُ، وَالتَّعْلِيْقُ عَلَيْهِ بِمَا يُضَيِّئُهُ، وَيَرْبِطُهُ بِمَا قَبْلَهُ وَبِمَا بَعْدَهُ، فِي غَيْرِ سَرْفٍ وَلَا شَطَطٍ، ثُمَّ فِي الإِخْرَاجِ الطَّبَاعِيِّ المِثْلُ فِي جُودَةِ الوَرَقِ، وَنِصَاعَةِ الحَرْفِ الطَّبَاعِيِّ...<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - مصطلحات متعلقة بعناوين الكتب:

اهتمَّ كثيرٌ من العلماء بتدوين أسماء مشايخهم، أو مسموعاتهم، أو إجازاتهم، وقد ألفت في ذلك كتبٌ تحمل أسماءً مختلفةً مع تشابه مضامينها:

(المشايخ) وهي الكتب التي يذكر فيها المؤلفُ الشيوخَ الذين لقيهم، وأخذ عنهم، أو أجازوه وإن لم يلقهم.

(المعاجم) الكتب التي يُترجم فيها المؤلفُ شيوخه مرتبين على حروف المعجم، وقد يذكر ما رواه عنهم.

(الثبوت) بفتح الباء، هو الذي يجمع فيه المؤلفُ أسماء مؤلفاته، أو الذي يجمع فيه مروياته، ومشايخه.

هذا من الناحية النظرية، أمّا عملياً فرمما جمع الكتاب، أكثر من نوع، وسمي بأحدها فقط.

(الفهرس) هو الذي يجمع فيه المؤلفُ مروياته المجازَ فيها من الشيوخ.

(البرنامج) هي التي يذكر فيها المؤلفُ أسماء مروياته، وأسانيد كتبه المسموعة.

(١) (الموجز في تراجم البلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، للطناحي) (ص ٢٢).



قال الكتّاني: (اعلم أنه بعد التتبع والتروّي ظهر أنّ الأوائل كانوا يُطلقون لفظة المَشَيْخَة على الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه، ومروياته عنهم، ثم صاروا يُطلقون عليه بعد ذلك المعجم؛ لَمَّا صاروا يُفردون أسماء الشيوخ، ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثرت استعمال وإطلاق المعاجم مع المَشَيْخَات. وأهل الأندلس يستعملون ويُطلقون البرنامج، أمّا القرون الأخيرة، فأهل المشرق يقولون إلى الآن الثَّبت، وأهل المغرب إلى الآن يسمونه الفهرسة<sup>(١)</sup>).

### ٥- القراءة:

(إنّ امتلاك القدرة على التركيز، واستحضار الفكر، امتلاك لزمّام المادة العلميّة، وهي السبيل الرئيس للوصول إلى الفهم، والإتقان، ويختلف مقدار التركيز المطلوب في القراءة حسب طبيعة الكتاب المقروء، ومستواه، وحسب مستوى القارئ الثقافي أيضاً، وحسب الهدف من القراءة، فمقدار التركيز الواجب لقراءة كتابٍ علميٍّ متخصصٍّ، يختلف عن التركيز المطلوب، لقراءة قصّة أدبيّة، أو كتاب في الثقافة العامّة)<sup>(٢)</sup>.

### ❖ الوصول للسرعة المناسبة في القراءة:

(إنّ السرعة المناسبة في القراءة تعتمد على نوع المقروء وعلى الغرض من القراءة فقراءة الجرائد والمواد القصصيّة يمكن الإسراع فيها أكثر من الموضوعات العلميّة العميقة كأصول الفقه مثلاً، ثمّ إنّ الغرض

(١) (فهرس الفهارس والأثبات، لعبد الحي الكتّاني) (٦٧/١).

(٢) (من آفات القراءة، لأحمد الصويان).

من القراءة يُؤثّر في السرعة، فإذا كان المقصود من القراءة الفهم تطلّب الأمر نوعاً من التائي، وإذا كان المقصود مراجعة الحفظ أو قراءة الحذر فإن السرعة تزيد ( القراءة السريعة قد تصل إلى ٦٠٠ كلمة في الدقيقة)، وإذا كان المقصود التصفح؛ لتكوين فكرة عامّة عن كتاب ليس في المقدور قراءته الآن، فإن القارئ سيقراً أوّل جملة من كلّ مقطع أو شيئاً من وسط الصفحة، وهذا حال من يبحث عن موضع معلومة سبق قراءتها، أو يلجأ إلى القراءة الخاطفة في كتاب ليقرّر ما إذا كان يريد شراءه أم لا، وربما يحتاج الأمر إلى شيء أسرع من ذلك كمن أراد معرفة الفكرة العامّة للكتاب، فهو يقرأ عناوين الفصول والفهرس، وينتقي صفحات عشوائياً للنظر فيها، ويمرّ أخرى بتقليب سريع.

وإذا ما أردت معرفة هل سرعتك في القراءة مناسبة أم لا فاقراً سرّاً لمدة خمس دقائق.. ثمّ قم بعدد الكلمات وقسمة المجموع على خمسة، فإن كان الناتج (١٥٠) كلمة فأقلّ فأنت بطيء القراءة، وعليك أن تسعى لزيادة سرعة قراءتك، وفيما يلي اقتراحات لبعض الخبراء:

- أن تقرأ خمس دقائق مثلاً كل يوم ولمدة شهر بأسرع ما تطيق، تاركاً الانشغال بالمعنى مؤقتاً.
- توسيع نطاق النظر أثناء القراءة، بإقلال زمن الوقوف على رسم الكلمة الواحدة.
- أن تكون القراءة صامتة دون تحريك للشفتين أو رفع الصوت، مع عدم الرجوع للكلمة المبهمة أو تكرارها، فمعناها سيتبين لك غالباً

من السِّياقِ والسِّباقِ.

وفيما يلي بعضُ الأخبارِ المحمَّسةِ على القراءةِ:  
سمع الخطيبُ البغداديُّ على إسماعيلَ بنِ أحمدَ الحيريِّ بمكةَ صحيحَ  
البحاريِّ في ثلاثةِ مجالسَ: اثنانِ منهما في ليلتين، كانَ يبتدئُ بالقراءةِ وقتَ  
المغربِ، ويختتمُ عندَ صلاةِ الفجرِ، والثالثُ من ضُحوةِ النَّهارِ حتىَّ طلوعِ  
الفجرِ. قالَ الذهبيُّ: وهذا شيءٌ لا أعلمُ أحداً في زماننا يستطيعُهُ.

وقرأ ابنُ حجرٍ في إقامتهِ بدمشقَ - وكانتْ شهرينِ وثلثَ الشَّهرِ -  
قريباً من مائةِ مجلِّدٍ<sup>(١)</sup>.

### ❖ أمورٌ تساعدُ على القراءةِ:

(ذكرَ العلماءُ والتربويُّونَ أسباباً كثيرةً تعينُ القارئَ على التَّركيزِ  
مثلَ: اختيارِ الأوقاتِ المناسبةِ، والأماكنِ الملائمةِ الخاليةِ من الصَّوارفِ،  
وأن يكونَ خاليَ الذَّهنِ، ولديه الاستعدادُ العقليُّ والنَّفسيُّ، الَّذي يُعينُه  
على استجماعِ قُدْرتهِ الفكريةِ.. ونحوِ ذلك ممَّا يطولُ وصفُه، ولكنْ  
يجمعُها وصفٌ واحدٌ وهو: أن يكونَ جاداً، حريصاً، ذا همَّةٍ صادقةِ.  
فمَن امتلكَ هذا الوصفَ حرصَ على تذليلِ كافةِ العقباتِ التي قد تُعرضُ  
لُه)<sup>(٢)</sup>.

(١) (كيف تقرأ كتاباً، للمنجد) (ص ٥٣ - ٥٥).

(٢) (من آفات القراءة، لأحمد الصويان).

## ❖ آفاتُ القراءة:

- (الآفةُ الأولى: قلةُ الصَّبرِ على القراءةِ والمطالعةِ.  
الآفةُ الثانيةُ: ضعفُ التَّركيزِ.  
الآفةُ الثالثةُ: ضعفُ المنهجيةِ في القراءة) (١).

(و كثيرٌ من القراء، لا يحرصُ أثناءَ القراءةِ على بناءِ فكرِهِ، وإحياءِ قدراتهِ العقليةِ، ولا يستحثُّها للنظرِ والتأملِ، وإنما يقعُ أسيراً ينتظرُ التلقينَ من المؤلِّفِ، ويقفُ دائماً موقفَ المتلقِّي، ومثلُ هذا وإن حصلَّ كما من المعلوماتِ فإنه ليسَ قارئاً جيِّداً؛ لأنَّه لا يملكُ البصيرةَ؛ ولا القدرةَ على التمييزِ والموازنةِ بينَ اجتهاداتِ العلماءِ، والمفكرينَ، فالتفكيرُ هو الَّذي يجعلُ ما نقرؤه ملكاً لنا) (٢).

وقد حكى ابنُ بدرانَ عن شيخه الشيخِ محمدِ بنِ عثمانِ الحنبليِّ المشهورِ بخطيبِ دوما قال: (وكانَ رحمه اللهُ يقولُ لنا: لا ينبغي لمن يقرأُ كتاباً أن يتصورَ أنَّه يريدُ قراءتهُ مرَّةً ثانيةً لأنَّ هذا التصوُّرَ يمنعهُ عن فهمِ جميعِ الكتابِ، بل يتصورُ أنَّه لا يعودُ إليه مرَّةً ثانيةً أبداً) (٣).

## ٦- مطالعةُ الكتبِ:

قال القاضي عياضٌ: (ذُكِرَ أنَّ صديقاً لأبي عمرَ الإشبيليِّ، شيخَ فقهاءِ الأندلسِ في وقتِهِ، قصدَهُ في عيدٍ؛ زائراً له، فأصابهُ داخلَ دارِهِ،

(١) (المصدر السابق).

(٢) (المصدر السابق).

(٣) (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل) (١/٢٦٦).

ودرْبُهُ مَفْتُوحٌ، فَجَلَسَ مَنْتَظِرُهُ وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَأَوْصَى إِلَيْهِ فَخَرَجَ، وَهُوَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِصَدِيقِهِ حَتَّى عَثَرَ فِيهِ؛ لِاشْتِغَالِ بَالِهِ بِالْكِتَابِ، فَتَنَبَّهُ حِينَئِذٍ لَهُ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ احْتِبَاسِهِ بِشُغْلِهِ، بِمَسْأَلَةِ عَوِيصَةَ لَمْ يُمَكِّنْهُ تَرْكُهَا حَتَّى فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: فِي أَيَّامِ عِيدٍ، وَوَقْتُ رَاحَةٍ مَسْنُونَةٍ؟

فَقَالَ: إِذَا عَمِلْتَ بِهَذَا هَذِهِ النَّفْسُ الضَّنَّةُ إِلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، وَاللَّهُ مَا لِي رَاحَةً وَلَا لَذَّةً فِي غَيْرِ النَّظَرِ، وَالْقِرَاءَةِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ السَّخَاوِيُّ فِي تَرْجِمَةِ أَحْمَدَ بْنِ سَلِيمَانَ الْبَلْقَاسِيِّ: (كَانَ... مَحَبًّا لِلْعِلْمِ، وَالْمَذَاكِرَةِ، وَالْمُبَاحَثَةِ، غَيْرَ مُنْفَكًّا عَنِ التَّحْصِيلِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَطَّلِعُ فِي مَشِيهِ، وَيُقْرَأُ الْقِرَاءَاتِ فِي حَالِ أَكْلِهِ؛ خَوْفًا مِنْ ضِيَاعِ وَقْتِهِ فِي غَيْرِهِ، أَعْجُوبَةً فِي هَذَا الْمَعْنَى، لَا أَعْلَمُ فِي وَقْتِهِ مَنْ يُوَازِيهِ فِيهِ)<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْفَيْرُوزِآبَادِيُّ: (اشْتَرَيْتُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ مِثْقَالٍ ذَهَبًا، كِتَابًا. وَكَانَ لَا يُسَافِرُ إِلَّا وَصَحْبَتَهُ مِنْهَا عِدَّةٌ أَحْمَالٍ، وَيُخْرِجُ أَكْثَرَهَا فِي كُلِّ مَنزِلَةٍ، فَيَنْظُرُ فِيهَا، ثُمَّ يُعِيدُهَا إِذَا ارْتَحَلَ)<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْأَدْفُوِيُّ فِي تَرْجِمَةِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ: (وَكَانَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى الْمَطَالَعَةِ، رَأَيْتُ خَزَانَةَ الْمَدْرَسَةِ النَّجِيبِيَّةِ فِيهَا جَمَلَةٌ كُتِبَ، مِنْ جَمَلَتِهَا: عَيُونُ

(١) (ترتيب المدارك، للقاضي عياض) (٧/١٢٥، ١٢٤).

(٢) (الضوء اللامع، للسخاوي) (١/٣١١).

(٣) (الضوء اللامع، للسخاوي) (١٠/٨١).

الأدلة لابن القصار، في نحو من ثلاثين مجلدةً وعليها علاماتٌ له، وكذلك رأيتُ كتبَ المدرسةِ السابقة، رأيتُ السننَ الكبيرَ للبيهقيِّ فيها، في كُلِّ مجلدةٍ علامةٌ، وفيها تاريخُ الخطيب، ومعجمُ الطبرانيِّ الكبير، والبسيطُ للواحديِّ وغيرها، وأخبرني شيخنا الدندريُّ: أنَّه لما ظهرَ الشرحُ الكبيرُ للرافعيِّ اشتراهُ بألفِ درهم، وصارَ يصليُّ الفرائضَ فقط، واشتغلَ بالمطالعةِ إلى أن أتمها مطالعةً، ويُقال: إنَّه طالعٌ كتبَ الفاضليَّةَ عن آخرها<sup>(١)</sup>.

قال أبو عمرَ يوسفُ بنُ يحيى المغاميُّ: (طرقتُ عبدَالمُلكِ بنَ حبيبِ الأندلسيِّ القرطبيِّ يوماً بعَلَسٍ؛ حرصاً على الاقتباسِ منه، واستأذنتُ عليه، فأذنَ لي ودخلتُ، فإذا به جالسٌ في مجلسه، عاكفٌ على الكتبِ، قد أحاطتْ به ينظرُ فيها، والشَّمعةُ بينَ يديه تَقْدُ، وطويلةٌ عليه - أي: على رأسه قلنسوةٌ طويلةٌ - فسَلَّمْتُ فردَّ عليَّ وقالَ لي: يا يوسفُ، أوَقَدَ انسلخَ الليلُ؟ قلتُ: نعم، وقد صلَّينا، فقامَ إلى صلاةِ الصُّبحِ فصلاها، ثمَّ رجعَ إلى مقعده، وقالَ: يا يوسفُ، ما صلَّيتُ هذه الصَّلَاةَ إلاَّ بوضوءِ العشاءِ الآخرةِ!)<sup>(٢)</sup>.

قال ابنُ حُميدٍ في ترجمةِ عبدِالوَهَّابِ بنِ محمَّدِ التميميِّ الأحسائيِّ: (أكبَّ على تحصيلِ العلم، وإدمانِ المطالعةِ، والمراجعةِ، والمذاكرةِ، والمباحثةِ، ليلاً ونهاراً، لم تنصرفْ همَّتهُ على غيره أصلاً، حتَّى إنَّه لما تزوَّجَ بأمرِ والده وإلزامه، أخذَ ليلةَ الدُّخولِ معه المحفظةَ، فلمَّا انصرفَ عنه الناسُ

(١) (الطالع السعيد، للأدفوي) (ص ٥٨٠).

(٢) (ترتيب المدارك، للقاضي عياض) (٤/١٣٨).

نَزَلَ السَّرَاجَ، وَقَعَدَ يُطَالِعُ الدَّرُوسَ الَّتِي يَرِيدُ أَنْ يقرأَهَا فِي غَدٍ، وَيُقَدِّرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ بَعْدَ إِتْمَامِ المَطَالَعَةِ يُبَاشِرُ أَهْلَهُ، فَاسْتَعْرَقَ فِي المَطَالَعَةِ إِلَى أَنْ أذَّنَ الصُّبْحَ، فَتَوَضَّأَ وَخَرَجَ لِلصَّلَاةِ، وَحَضَرَ دَرُوسَ وَالِدِهِ مِنْ أَوْلِيَّهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ وَالِدُهُ بِذَلِكَ؛ لِكُونِهِ لَا يُبْصِرُ، وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الدَّرُوسِ، بَارَكَ لَهُ الحَاضِرُونَ، وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ، فَعَلَ كَفَعَلِهِ بِالأَمْسِ، وَلَمْ يَقْرُبْ أَهْلَهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ لِلتَّرْكِ، لَكِنْ لِاسْتِغَالِهِ بِالمَطَالَعَةِ، فَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: أَطَالِعُ الدَّرْسَ، ثُمَّ أَلْتَفْتُ إِلَى الأَهْلِ، فَيَسْتَعْرِقُ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ، فَأَخْبَرَتِ المَرْأَةُ وَلِيِّهَا بِذَلِكَ، فَذَهَبَ وَأَخْبَرَ وَالِدَهُ بِالقِصَّةِ، فَدَعَاهُ وَالِدُهُ وَعَاتَبَهُ، وَأَخَذَ مِنْهُ المَحْفَظَةَ، وَأَكَّدَ عَلَيْهِ بِالإِقْبَالِ عَلَيْهَا<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ الآبَنُوسِيِّ: (كَانَ الحَافِظُ الخَطِيبُ يَمْشِي وَفِي يَدِهِ جِزْءٌ يُطَالِعُهُ)<sup>(٢)</sup>.

وَفِي تَرْجُمَةِ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ صَاحِبِ (السَّنَنِ): قَالَ ابْنُ دَاسَةَ: (كَانَ لِأَبِي دَاوُدَ كُتُبٌ وَاسِعَةٌ، وَكُتُبٌ ضَيِّقٌ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: الوَاسِعُ لِلْكِتَابِ، وَالأَخْرُ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ)<sup>(٣)</sup>.

وَذَكَرَ العَسْكَرِيُّ، أَنَّ أَبَا بَكْرَ الحَيَّاطَ - العَلَامَةَ النَحْوِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ البَغْدَادِيَّ (ت ٣٢٠) - كَانَ يَدْرُسُ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ، حَتَّى فِي الطَّرِيقِ، وَكَانَ رَبِّمَا سَقَطَ فِي جَرْفٍ، أَوْ خَبَطَتْهُ دَابَّةٌ<sup>(١)</sup>.

(١) (السحب الوابله، لابن حميد، بتصرف) (٦٨٢/٢).

(٢) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٢٨١/١٨).

(٣) (المصدر السابق) (٢١٧/١٣).

## ٧- استعارةُ الكتب:

قالَ الشيخُ الأديبُ علي الطنطاوي: (ومثلُ هؤلاءِ المقترضينَ الأفاضلِ مستعيرِو الكتبِ، أولئك الذين تركوا في قلبي غصصاً، حلفتُ بعدها بموثقاتِ الأيمانِ، أنّي لا أعيرُ أحداً كتاباً، ولم أنجُ مع ذلكَ منهم، ولم يُردِّ لي إلى الآن كتابُ (كشفِ الظنونِ) الذي نسيتُ من استعاره مِنِّي منذُ إحدى عشرةَ سنةً، ول هؤلاءِ المستعيرينَ نوادرُ، شهدتُ منها العجبَ، منها أن أستاذاً محترماً في قومه جاءني مرّةً يلتمسُ إعارتهُ جزءاً من (تفسيرِ الخازنِ)، من خزانةِ كُتبي؛ ليراجعَ فيه مسألةً، ويرُدُّه إليّ عاجلاً، ففعلتُ، وانتظرتُ أربعَ سنواتٍ ثمّ ذكّرتهُ به، فغضبَ وقال: ليش العجلةُ يا أستاذاً؟ لم أراجعَ المسألةَ بعدُ!

والذي يذكُرُ منهم صاحبَ الكتابِ، ويتنازلُ، فيردُّه إليه، يردُّه مخلوعَ الجلدِ، ممزّقَ الأوصالِ.

وأنكى منه المستعيرُ، المحقِّقُ، المدقِّقُ، الذي يرى في الكتابِ موطناً يحتاجُ إلى تعليقٍ، فيكتبُ التعليقةَ التي يفتحُ اللهُ بها عليه، على هامشِ كتابك، بالحرِّ الصينيِّ الذي لا يُمحى، ولا يُكشَطُ، ويُذيلُها باسمه الكريم!!

وشرُّ من هؤلاءِ جميعاً، الثقيلُ الذي يتظرفُ ويتخففُ، فيرى أن من الظرفِ سرقةَ الكتبِ، فإذا زاركَ وتركتَهُ في المكتبةِ، وخرجتَ؛ لتأتيه

(١) (الحث على طلب العلم) (ص ٧٧).



بالقهوة والشاي، أخذ كتاباً فديسه تحت إبطه، أو وضعه في جيبه، ثم ذهب به، وأنت لا تدري<sup>(١)</sup>.

واشتهر قول بعضهم:

ألا يا مُستعيرَ الكتبِ دعي فإنَّ إعارتي للكتبِ عارٌ  
فمحبوبي من الدنيا كتابٌ فهل أبصرتَ محبوباً يُعارُ؟

قال المبردُ: (أتى الأصمعيُّ رجلٌ فسأله أن يكتبَ له شيئاً من العلم، فكتبه له، فلما كان بعدَ أيامٍ، عادَ إليه، فقال: يا أبا سعيدٍ، إنَّ ذلكَ القرطاسَ الذي كتبته لي سقطَ منِّي، فأكلتهُ الشاةُ، فأحبُّ أن تكتبَ لي غيرهُ ثانياً.

فكتبَ له:

قلْ لُبْغاةِ الآدابِ ما وصلتَ منها إليكم فلا تُضيعوها  
ضمّنوا علمها الدفاترَ والحبرَ بحسنِ الكتابِ أو عوها  
إن اشتريتُموا يوماً لأهلكمُ شاةً لَبُوناً فلا تُجيعوها  
فإن عجزتُم ولم يكنْ علفٌ يُشبعُها عندكم فيعوها<sup>(٢)</sup>

ولمعرفة حُكم إعارةِ الكتبِ، وبذلها لمن يحتاجُ إليها، والشروطِ المعترَبة للإعارةِ، وآدابِ الإعارةِ والاستعارةِ، عليك بكتابِ (إعارةِ الكتبِ أحكامها وآدابها في الفقه الإسلاميِّ)، لصالح محمد الرّشيد، فقد ألقى

(١) (في سبيل الإصلاح، للطنطاوي) (٩٦،٩٧).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص ١٤٧).

الضوء على هذا الموضوع، وكشف كثيراً من أحكامه، وآدابه، والكتاب مفيدٌ في هذا الباب.

## ٨- التأدب مع الكتب:

قال ابن جماعة عن الكتب:

(إذا وضعها على خشبٍ ونحوه، جعل فوقها، أو تحتها، ما يمنع تآكل جلودها به، ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها، ولا مخدّة، ولا مروحة، ولا مسنداً، ولا مُتَكِّناً، ولا مقتلةً للبق وغيره، ولا يطوي حاشية الورقة أو زاويتها، ولا يُعلمُ بعودٍ أو شيءٍ جافٍّ، بل بورقةٍ أو نحوها، وإذا ظفر فلا يكبس ظفراً قوياً).

ويراعي الأدب في وضع الكتب، باعتبار علومها، وشرفها، وشرف مصنفيها، وجلالتهم، فيضع الأشرف أعلى الكل، ثم يراعي التدرج، فإن كان فيها المصحف الكريم، جعله أعلى الكل، وهكذا<sup>(١)</sup>.

(رأى بعض الحكماء رجلاً يتنذل كتاباً، فقال له: (بيئت عن نقصك، وبرهنت عن جهلك؛ فما أهان أحد كتاب علم؛ إلا لجهله بما فيه؛ وسوء معرفته بما يحويه).

ورأى آخر رجلاً قد جلس على كتاب، فقال: سبحان الله، يصون ثيابه ولا يصون كتابه، لصون الكتاب أولى من صون الثياب<sup>(٢)</sup>.

(١) (تذكرة السامع، لابن جماعة بتصرف) (ص ١٧٠، ١٧١).

(٢) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي) (ص ٣٥٣).

## سادساً: إضاءات عن ورثة الأنبياء

### ١ - حقيقة العالم:

من الأمور المستنكرة في هذا الزمان المغالاة في إطلاق الألقاب العلمية، فأصبح إطلاق لقب عالم أو علامة أو محدث أو فقيه على طلبه العلم من قبل تلامذتهم أمراً شائعاً، وما ذلك إلا لفشو الجهل بحقيقة العالم وشروطه وصفاته، والتي قد لا تتوفر في كثير ممن تُطلق عليهم هذه الألقاب، وقد سئل عبدالله بن المبارك هل للعلماء علامة يُعرفون بها؟ قال: علامة العالم من عمل بعلمه، واستقل كثير العلم والعمل من نفسه، ورغب في علم غيره، وقبل الحق من كل من أتاه به، وأخذ العلم حيث وجدته، فهذه علامة العالم وصفته. قال المروزي: فذكرت ذلك لأبي عبدالله. فقال: هكذا هو<sup>(١)</sup>.

ورحم الله الحسن البصري، عندما سأله مطرُ الوراق عن مسألة فأجابته، فقال له: يا أبا سعيد يَأبَى عَلَيْكَ الْفَقَهَاءُ، يَخَالِفُونَكَ. فَقَالَ الْحَسَنُ: (تَكَلَّتْكَ أُمَّكَ، انظُرْ، وَهَلْ رَأَيْتَ فُقَيْهًا قَطُّ؟ وَهَلْ تَدْرِي مَنْ الْفَقِيهُ، الْفَقِيهُ: الْوَرَعُ، الزَاهِدُ، الْمَقِيْمُ عَلَى سُنَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي لَا يَسْخَرُ بِمَنْ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلَا يَهْزَأُ بِمَنْ فَوْقَهُ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمِ عِلْمِهِ اللَّهُ إِيَّاهُ حَطَامًا)<sup>(٢)</sup>.

(١) (إبطال الخيل، لابن بطة العكبري) (ص ٢١).

(٢) (طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى) (٢/٤٨١).

وعن علي رضي الله عنه قال: (ألا أُخبركم بالفقيه، حق الفقيه الذي لا يُقنطُ النَّاسَ من رَحْمَةِ اللهِ، ولا يُرَحِّصُ للمرءِ في معاصي اللهِ، ولا يدعُ القرآنَ رغبةً إلى غيره، إنه لا خيرَ في عبادةٍ لا علمَ فيها، ولا خيرَ في علمٍ لا فقهَ فيه، ولا خيرَ في قراءةٍ لا تدبُرَ معها)<sup>(١)</sup>.

## ٢- من صفات العلماء:

### أ- خشيةُ الله:

قال عبد الله بن مسعود: (ليس العلمُ للمرءِ بكثرةِ الروايةِ، ولكنَّ العلمَ الخشيةُ)<sup>(٢)</sup>.

عن مالك بن مغول قال: (استفتني رجلُ الشعبيِّ فقال: أيُّها العالمُ، أفْتِنِي. فقال: إنَّما العالمُ من يخافُ الله)<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمامُ أحمدُ: (أصلُ العلمِ خشيةُ اللهِ تعالى)<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد الله بن أحمد قال: قلتُ لأبي: (هل كانَ معَ معروفٍ شيءٌ من العلمِ؟ قال لي: يا بُنَيَّ، كانَ معهُ رأسُ العلمِ؛ خشيةُ اللهِ تعالى)<sup>(٥)</sup>.

قال الحسنُ: (كانَ الرجلُ يطلبُ العلمَ، فلا يلبثُ أن يُرى ذلكَ في تَخَشُّعِهِ وَهَدْيِهِ وَلِسَانِهِ وَبَصَرِهِ وَيَدِهِ)<sup>(١)</sup>.

(١) (كتاب العلم، لأبي خيثمة) (ص ٣٣).

(٢) (إبطال الحيل، لابن بطة) (ص ٢٠).

(٣) (المصدر السابق) (ص ٢١).

(٤) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص ٩).

(٥) (طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى) (٣٨٢/١).

قال ابن الجوزي: (رأيتُ أكثرَ العلماءِ مُشْتَغِلِينَ بِصُورَةِ الْعِلْمِ دُونَ فَهْمِ حَقِيقَتِهِ وَمَقْصُودِهِ، فَالْقَارِئُ مُشْغُولٌ بِالرَّوَايَاتِ، عَاكِفٌ عَلَى الشُّوَاذِ، يَرَى أَنَّ الْمَقْصُودَ نَفْسُ التَّلَاوَةِ، وَلَا يَتَلَمَّحُ عِظْمَةَ الْمُتَكَلِّمِ؛ وَلَا زَجَرَ الْقُرْآنِ وَوَعْدَهُ..)

وَالْمُحَدِّثُ يَجْمَعُ الطُّرُقَ، وَيَحْفَظُ الْأَسَانِيدَ، وَلَا يَتَأَمَّلُ مَقْصُودَ الْمُنْقُولِ، وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ حَفِظَ عَلَى النَّاسِ الْأَحَادِيثَ، فَهُوَ يَرْجُو بِذَلِكَ السَّلَامَةَ...

وَالفَقِيهُ قَدْ وَقَعَ لَهُ أَنَّهُ بِمَا قَدْ عَرَفَ مِنَ الْجِدَالِ الَّذِي يُقَوِّي بِهِ خِصَامَهُ، أَوْ الْمَسَائِلِ الَّتِي يُفْتِي بِهَا النَّاسَ مَا يَرْفَعُ قَدْرَهُ، وَيَمْحُو ذَنْبَهُ... وَيَنْضَافُ إِلَيْهِ مَعَ الْجَهْلِ بِمَا حُبُّ الرِّيَاسَةِ، وَإِثَارُ الْعَلْبَةِ فِي الْجِدَالِ، فَتَزِيدُ قَسْوَةَ قَلْبِهِ، وَعَلَى هَذَا أَكْثَرُ النَّاسِ، صُورُ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ صِنَاعَةٌ، فَهِيَ تُكْسِبُهُمُ الْكِبَرَ وَالْحِمَاقَةَ...)

ثم قال: (.. وهؤلاء لم يفهموا معنى العلم، وليس العلم صور الألفاظ، إنما المقصود فهم المراد منه، وذلك يُورثُ الخشية والخوف، ويرى المنّة للمُنعمِ بالعلم، وقوّة الحجّة له على المتعلّم..)<sup>(١)</sup>.

### ب- شِدَّةُ الْإِنْشِغَالِ بِالْعِلْمِ:

قال ابن مُحَرَّمِ الْفَقِيهِ، أَحَدُ تَلَامِذَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ: (لَمَّا تَزَوَّجْتُ،

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (١/٢١٦).

(٢) (صيد الخاطر، لابن الجوزي، بتصرف) (ص ٤٣٦ - ٤٣٨).

وَحُمِلَتْ إِلَى الْمَرْأَةِ، جَلَسْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، أَكْتُبُ شَيْئًا عَلَى الْعَادَةِ، وَالْمَحْبَرَةُ بَيْنَ يَدَيَّ، فَجَاءَتْ أُمُّهَا، فَأَخَذَتْ الْمَحْبَرَةَ فَضْرَبَتْ بِهَا الْأَرْضَ، فَكَسَرَتْهَا، فَقُلْتُ لَهَا فِي ذَلِكَ. فَقَالَتْ: هَذِهِ شَرٌّ عَلَى ابْنَتِي مِنْ ثَلَاثِ مِئَةِ ضَرَّةٍ<sup>(١)</sup>.

وَكَانَ ابْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ إِذَا جَلَسَ فِي بَيْتِهِ وَضَعَ كُتُبَهُ حَوْلَهُ، فَيَسْتَعْلُ بِهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ يَوْمًا: (وَاللَّهِ لِهَذِهِ الْكُتُبُ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ثَلَاثِ ضَرَائِرٍ)<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ قَالَ: (كَانَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يُكْثِرُ الْجُلُوسَ فِي بَيْتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَسْتَوْحِشُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ أَسْتَوْحِشُ وَأَنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ؟)<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذَّهَلِيُّ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي فِي الصَّيْفِ الصَّائِفِ، وَقَتَ الْقَائِلَةِ، وَهُوَ فِي بَيْتِ كُتُبِهِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ السَّرَاجُ، وَهُوَ يُصَنِّفُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَهِ، هَذَا وَقْتُ الصَّلَاةِ، وَدَخَانَ هَذَا السَّرَاجُ بِالنَّهَارِ، فَلَوْ نَفَسْتَ عَنْ نَفْسِكَ. قَالَ: يَا بُنَيَّ تَقُولُ لِي هَذَا، وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ؟)<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْأَوْقِيُّ: سَمِعْتُ السَّلْفِيَّ يَقُولُ: (لِي سِتُونَ سَنَةً مَا

(١) (تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي) (٣٢١/١).

(٢) (وفيات الأعيان، لابن خلكان) (١٧٧/٤ - ١٧٨).

(٣) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٣٨٢/٨).

(٤) (تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي) (٤١٩/٣).

رأيتُ منارةَ الإسكندريةِ - وكانت من أعاجيبِ الدنيا السَّبْعَةِ - إلا من هذه الطَّاقَةِ. يَعْنِي طاقَةَ حُجْرَتِهِ فِي الْمَدْرَسَةِ<sup>(١)</sup>.

### ج- عمقُ الفهم:

قالَ عبدُالرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ: (معرفةُ الحديثِ، إلهامٌ). وقالَ: (إنكارُنَا الحديثَ عندَ الجُهَّالِ، كهانةٌ)<sup>(٢)</sup>.

ولَمَّا أنكرَ ابنُ مَهْدِيٍّ حديثاً رواه رجلٌ، غَضِبَ للرجلِ جَمَاعَةٌ، وقالوا لَهُ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ هَذَا فِي صَاحِبِنَا؟ قَالَ لَهُمْ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَتَى بَدِينَارٍ إِلَى صَيْرَفِيٍّ، فَقَالَ: انْتَقِدْ لِي هَذَا. فَقَالَ الصَّيرَفِيُّ: هُوَ بَهْرَجٌ. يَقُولُ لَهُ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ لِي: إِنَّهُ بَهْرَجٌ؟) ثُمَّ قَالَ: الزَّمْ عَمَلِي هَذَا عَشْرِينَ سَنَةً حَتَّى تَعْلَمَ مِنْهُ مَا أَعْلَمُ<sup>(٣)</sup>.

وقالَ أحمدُ بنُ صالحِ المِصْرِيِّ: (معرفةُ الحديثِ بمِثْلَةِ معرفةِ الذهبِ، إِنَّمَا يُبْصِرُهُ أَهْلُهُ)<sup>(٤)</sup>.

### د- الانضباطُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمُخَالَفِ:

قالَ ابنُ تَيْمِيَّةَ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى: (هَذَا وَأَنَا فِي سَعَةِ صَدْرِ لِمَنْ يَخَالَفُنِي، فَإِنَّهُ وَإِنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فِيَّ، بِتَكْفِيرٍ أَوْ تَفْسِيقٍ أَوْ افْتِرَاءٍ، أَوْ عَصْبِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ، فَأَنَا لَا أَتَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ فِيهِ؛ بَلْ أَضْبِطُ مَا أَقُولُهُ، وَأَفْعَلُهُ،

(١) (تاريخ الإسلام، للذهبي) (٢٠١/٤٠).

(٢) (علل الحديث، لابن أبي حاتم) (١٢٤/١).

(٣) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي) (٣٨٣/٢).

(٤) (المصدر السابق).

وأزِنُه بِمِيزَانِ الْعَدْلِ، وَأَجْعَلُهُ مُؤْتَمًّا بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَجْعَلْهُ هَدًى لِلنَّاسِ، حَاكِمًا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَيْضًا: (وَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الرَّجْلِ الْوَاحِدِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، وَفَجْوَرٌ وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ، وَسُنَّةٌ وَبِدْعَةٌ، اسْتَحَقَّ مِنَ الْمَوَالِقِ وَالثَوَابِ بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَاسْتَحَقَّ مِنَ الْمَعَادَاةِ وَالْعِقَابِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ، فَيَجْتَمِعُ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ مَوْجِبَاتُ الْإِكْرَامِ، وَالْإِهَانَةِ، فَيَجْتَمِعُ لَهُ مِنْ هَذَا وَهَذَا)<sup>(٢)</sup>.

### ٣- أحوال العلماء الربانيين:

عن ابن المسيب قال: (ما لقيتُ النَّاسَ مُنْصَرِّفِينَ مِنْ صَلَاةٍ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً)<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ جَزَّأَ اللَّيْلَةَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: الثَّلَاثَ الْأَوَّلَ: يَكْتُبُ، وَالثَّانِي: يُصَلِّي فِيهِ، وَالثَّلَاثَ: يَنَامُ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الرَّبِيعُ: (نِمْتُ فِي مِزَلِ الشَّافِعِيِّ لَيْلِي، فَلَمْ يَكُنْ يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَيْسَرَهُ)<sup>(٥)</sup>.

قال أبو إسحاق السبيعي: (يا معشر الشباب، اغتتموا - يعنني

(١) (مجموع فتاوى ابن تيمية) (٣/٢٤٥).

(٢) (مجموع الفتاوى) (٢٨/٢٠٩).

(٣) (الطبقات الكبرى، لابن سعد) (٥/١٣١).

(٤) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (٩/١٣٥).

(٥) (المجموع، للنووي) (١/١٢).



فَوَتَّكُمُ وَشَبَّابِكُمْ - قَلَمًا مَرَّتْ بِي لَيْلَةً، إِلَّا وَأَقْرَأُ فِيهَا أَلْفَ آيَةٍ، وَإِنِّي لِأَقْرَأُ  
الْبَقْرَةَ فِي رَكْعَةٍ، وَإِنِّي لِأَصُومُ أَشْهُرَ الْحُرْمِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ  
وَإِثْنَيْنِ وَالْحَمِيسِ. ثُمَّ تَلَا: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة  
الضحى: ١١] (١).

وعن عبد الرحمن بن مهدي: (لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت  
غداً. ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً) (٢).

قال الشيخ عبد الكريم الخضير:

(كان الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى مضرب المثل في  
التضحية، حيث بذل جميع وقته للدعوة والتعليم، وقضاء الحاجات،  
وحدثنا زوجته أنه في ليلة من الليالي جاء من المستشفى، ولاحظت عليه  
آثار التعب، فضبطت الساعة بعد عاداته في القيام بساعة؛ رافةً به، فانتبه  
على العادة، وسألها لم لم يشتغل منبه الساعة؟ فأخبرته، فلامها على  
ذلك، وأخبرته أنها فعلت ذلك من أجل راحتته، فقال رحمه الله: الراحة في  
الجنة، وكان معدّل نوميه لا يزيد في اليوم والليل على أربع ساعات) (٣).

وقال أيضاً: (لا يستحق الوصف بالعالم إلا من عمل، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ  
الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ  
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، فدلّ

(١) (المستدرک، للحاکم) (٥٧٤/٢).

(٢) (حلیة الأولیاء، لأبي نعیم) (٢٥٠/٦).

(٣) من محاضرة (صفحات مشرقة في عبادات العلماء، للخضير).

على أن أهل العلم المستحقين لهذا الوصف هم أهل العمل، فالذين لا يعملون بالعلم، ليسوا من أهل العلم<sup>(١)</sup>.

#### ٤- من بيوت أهل العلم:

##### ❖ آل قدامة

بيت من البيوت الشهيرة بالعلم، أخرج عدداً من أئمة الحنابلة والعلماء والقضاة والخطباء والمدرسين والمفتين، وهم قرشيون عدويون نسباً من سلالة عمر بن الخطاب، مقادسة موطناً صالحيون دماشقة مهاجراً من أكثر البيوت الحنبلية علماً، وفي (المقصد الأرشدي) ترجمة لنحو خمسين عالماً منهم، وقد أفرد عنهم الضياء المقدسي كتاباً سماه (سبب هجرة المقادسة) وذلك لما كان لهم من أثر في ازدهار العلم عامة والمذهب الحنبلي خاصة، ونذكر منهم:

- جد آل قدامة: وهو خطيب جماعيل بيت المقدس أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر (ت: ٥٥٨). وكان من العلماء الصالحين، هاجر من جماعيل إلى الصالحية بدمشق، فترل وأهله بمسجد أبي صالح ثم انتقلوا إلى الجبل.

- أبا عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم المتوفى سنة (٥٥٨) وقد بنى المدرسة العمرية الشيعية في الصالحية بدمشق، وكان من أكثر العلماء إحياءاً للسنة وإماتةً للبدعة، وقد ولد له عبدالله (وهو عالم

(١) (من محاضرة: صفحات مشرقة في عبادات العلماء، للخضير).

فاضل) وعبدالرحمن وعمر، وبه كان يُكنى.

- الموفق عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقداً المتوفى سنة (٦٢٠) وقد مات أولاده الثلاثة في حياته، ولم يُعقب من ولده سوى عيسى (وكان من العلماء الأجلاء) خلف ولدين وماتا، وانقطع عقبه. ومن مصنفات الموفق (المغني) و(روضة الناظر) و(لمعة الاعتقاد) وغيرها من الكتب النافعة.

ومن هذه الأسرة المباركة ابن خالة الموفق، وهو عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي صاحب (عمدة الأحكام) و(الكمال في أسماء الرجال) الذي هدبه المزي في كتابه (تهذيب الكمال).

- عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، ويُعرف بابن أبي عمر (ت: ٦٨٢) وهو صاحب (الشرح الكبير) وهو شرح لكتاب (المقنع) لعمه الموفق ابن قدامة.

- نجم الدين أبا العباس أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة (ت: ٦٨٩) وهو صاحب كتاب (مختصر منهاج القاصدين) وكان خطيباً ومدرساً وقاضياً.

وقد تفرع من بيت آل قدامة ثلاثة بيوت من بيوت العلماء: بيت ابن عبدالهادي، وبيت قاضي الجبل، وبيت بني زريق.

## ❖ الألويسيون

أسرة عراقية شريفة، قد اشتهر منها من أهل العلم:

- محمود شكري الألويسي، أبو الثناء، (ت: ١٢٧٠) صاحب تفسير (روح المعاني)، و(الأجوبة العراقية)، ومذهبه مشوب بين مذهب السلف، والأشعرية، والتفويض، والتصوف.

- نعمان خير الدين الألويسي، (ت: ١٣١٧)، وهو ابن أبي الثناء، صاحب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)، و(الجواب الفسيح على ما لفته عبد المسيح)، وكان مشهوراً بالوعظ، وهو سلفي العقيدة.

- محمود شكري بن عبد الله بهاء الدين بن أبي الثناء، أبو المعالي، (ت: ١٣٤٢)، وهو حفيد أبي الثناء، وهو صاحب (غاية الأمان في الرد على التبّهاني)، و(صّبّ العذاب على من سبّ الأصحاب)، و(مسائل الجاهلية) وكان مستقيم المنهج.

## ❖ العماريون:

العماري نسبة إلى قبيلة غمارة، في شمال المغرب، واشتهر بها (٧) إخوة اشتغلوا بالعلم، وهم:

- أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق العماري (ت: ١٣٨٠)، وهو أكبر إخوته سنّاً، وعلماً، وقد تتلمذوا عليه، برز في كثير من العلوم، وله مصنفات كثيرة بلغت (١٢٠) مصنفاً، كثير منها في الحديث، وقد صحّ أحاديث مشهورة الضعف، أما عقيدته فهو صوفي، قبوري ألف

(إحياء المقبورِ بأدلةِ بناءِ المساجدِ والقبابِ على القبورِ)، وهو شيعيٌّ يَطعنُ في مُعاويةَ، وأبيه، وعمرو بنِ العاصِ، وغيرهم، ويَطعنُ في أئمةِ أهلِ السُّنةِ، كابنِ تيميَّةَ، والذهبيَّ، وابنِ عبدِ الوهَّابِ، وله طامَّاتٌ، كالقولِ بوحدةِ الوجودِ، وإيمانِ فرعونَ، وتصرُّفِ الأولياءِ في الكونِ.

- أبو الفضلِ عبدُ اللهِ (ت: ١٤١٣)، برزَ في الفقه، والحديثِ، وله مصنفاتٌ كثيرةٌ، بلغتْ تسعةً وخمسينَ كتاباً منها:  
(الإعلامُ بأنَّ التَّصوُّفَ من شريعةِ الإسلامِ)  
(إرغامُ المبتدعِ العبيِّ بجوازِ التوسلِ بالنبيِّ)  
(استمدادُ العونِ في بيانِ كفرِ فرعونَ) يرُدُّ فيه على أخيه.  
وله تحقيقاتٌ على عدَّةِ كتبٍ منها: (المقاصدُ الحسنةُ)، و(تنزيهُ الشريعةِ).

وله ردودٌ على الشيخِ الألبانيِّ رحمه الله.

- عبدُ الحميِّ، تَوَسَّعَ في علمِ الأصولِ، معَ المشاركةِ في غيره.

- عبدُ العزيزِ (ت: ١٤١٨)، تَوَسَّعَ في معرفةِ الحديثِ، معَ المشاركةِ في غيره من العلومِ.

- الحسنُ، وكانت له مشاركةٌ في سائرِ الفنونِ.

- إبراهيمُ، تَخَرَّجَ من دارِ الحديثِ الحسنيَّةِ، ونالَ درجةَ الدُّكتوراهِ.

- محمد الزمزمي (ت: ١٤٠٨)، وهو أحسنهم، وإن كانت عليه بعض المؤاخذات أيضاً، وقد أعلن تبرأه من بدع وضلالات أسرته، وألف كتاب (الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة)، وقاطع إخوته، وعمل على نشر السنة في شمال المغرب، له مصنفات منها:  
(رسالة في شرح لا إله إلا الله)

(إعلام المسلمين بوجوب مقاطعة المبتدعين والفجار والظالمين) ردّ فيه على أخيه عبد الله.  
وكلهم يجمعهم التشيع، والتصوف، ما عدا محمداً الزمزمي.

#### ٥- فائدة:

#### ❖ عقيدة بعض أئمة اللغة:

من اللغويين الذين هم على عقيدة أهل السنة والجماعة :

- ١- الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب كتاب (العين).
- ٢- عمرو بن عثمان، المعروف بسيبويه.
- ٣- علي بن حمزة الكسائي، صاحب كتاب (معاني القرآن).
- ٤- الأصمعي، صاحب كتاب (الأضداد).
- ٥- القاسم بن سلام الهروي .
- ٦- إبراهيم بن عرفة، المشهور بنفطويه.
- ٧- أحمد الشيباني، المشهور بثعلب.
- ٨- إبراهيم بن إسحاق الحربي، صاحب (غريب الحديث).

- ٩- ابن قتيبة الدينوري.  
 ١٠- الأزهرري، صاحب (تهذيب اللغة).  
 ١١- أبو جعفر النحاس، صاحب (معاني القرآن).  
 ١٢- أحمد بن فارس، صاحب (معجم مقاييس اللغة).  
 ١٣- بديع الزمان الهمداني، صاحب المقامات<sup>(١)</sup>.

### ومن اللغويين الذين هم على عقيدة المعتزلة:

- ١- قُطْرُبُ، صاحب (المثلث).  
 ٢- الأخفش الأوسط، صاحب (معاني القرآن).  
 ٣- أبو علي الفارسي، صاحب (الحجة للقراء السبعة).  
 ٤- الصاحب بن عباد، صاحب (المحيط في اللغة).  
 ٥- ابن جنّي، صاحب (الخصائص).  
 ٦- الجوهري، صاحب (الصحاح).  
 ٧- أبو هلال العسكري، صاحب (الفروق اللغوية)<sup>(٢)</sup>.



(١) مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، لمحمد الشيخ عليو (ص ١٥١ - ٤٤٣).

(٢) مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، لمحمد الشيخ عليو (ص ٤٥٥ - ٦٥٠).

## سابعاً: إضاءات على أنواع العلوم

### ١- أنواع العلوم:

#### ❖ من ناحية النفع:

قال ابن القيم في بيان أنواع العلوم: (نوع تكمل النفس بإدراكه، والعلم به، وهو العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وكتبه، وأمره، ونهيّه).

ونوع لا يحصل للنفس به كمال، وهو كل علم لا يضر الجهل به، فإنه لا ينفع العلم بها في الآخرة.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز بالله من علم لا ينفع، وهذا حال أكثر العلوم الصحيحة المطابقة التي لا يضر الجهل بها شيئاً، كالعلم بالفلك، ودقائقه ودرجاته، وعدد الكواكب ومقاديرها، والعلم بعدد الجبال، وألوانها ومساحتها، ونحو ذلك، فشرف العلم بحسب شرف معلومه، وشدة الحاجة إليه، وليس ذلك إلا العلم بالله وتوابع ذلك<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: (فما أشدها من حسرة، وما أعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا، وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبه أسرارها ومعانيه! فالله المستعان)<sup>(٢)</sup>.

(١) (الفوائد، لابن القيم) (ص ١٦٠).

(٢) (بدائع الفوائد، لابن القيم) (١/١٧٣).



## ❖ مِنْ نَاحِيَةِ الْغَايَةِ وَالْوَسِيلَةِ:

قال ابن خلدون:

(فأما العلوم التي هي مقاصد، فلا حرج في توسعة الكلام فيها، وتفريع المسائل، واستكشاف الأدلة، والأنظار، فإن ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته، وإيضاحاً لمعانيها المقصودة، وأما العلوم التي هي آلة لغيرها، مثل العربية، والمنطق، وأمثالهما؛ فلا ينبغي أن يُنظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يُوسَّع فيها الكلام، ولا تُفرَّع المسائل؛ لأن ذلك يخرج بها عن المقصود؛ إذ المقصود منها ما هي آلة له، لا غير، فكلما خرجت عن ذلك؛ خرجت عن المقصود، وصار الاشتغال بها لغواً، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها، بطولها، وكثرة فروعها، وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات؛ لطول وسائلها، مع أن شأنها أهم، والعمر يُقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر، وشغلاً بما لا يُغني<sup>(١)</sup>.

(والعلوم المساعدة، أو ما يُسميه بعض أهل العلم بعلوم الآلة، كاللغة العربية، والبلاغة، والأصول، والمصطلح، وعلوم القرآن، يُطلب منها ما يُحقق المقصود الأصلي، وهو القيام بعبادة الله تعالى، التي خلقنا من أجلها، وإلا دخل ذلك في باب الترف العلمي، والله أعلم. فلا يُطلب من طالب علم النحو، أن يكون كسيبويه، و من طالب اللغة،

(١) مقدمة ابن خلدون (١/٦٢٢).

أن يكون كالخليل، والأزهري، ومن طالب البلاغة، أن يكون كالجرجاني، يكفيه من كل ذلك ما يحتاجه لفهم القرآن والسنة، والقيام بما أوجبه الله عليه من عبادته<sup>(١)</sup>.

## ٢- أهمية التخصص في فن معين:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: (إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن من العلم، وإن أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه)<sup>(٢)</sup>.  
قال أبو عبيد القاسم بن سلام: (ما ناظرني رجل قط، وكان مفتناً في العلوم إلا غلبته، ولا ناظرني رجل ذو فن واحد إلا غلبني في علمه ذلك)<sup>(٣)</sup>.

وذلك لأن (للعلم دقائق لا يعرف المتفنون عنها شيئاً، أما المتخصصون فقد خبروها، وقادتهم إلى دقائق الدقائق، فهم فقهاء العلوم حقاً، وأطباء الفنون صدقاً.

قال الحسن بن محمد الصباح الزعفراني تلميذ الشافعي: سمعت الشافعي يقول: من تعلم علماً فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم<sup>(٤)</sup>.



(١) (التأصيل في طلب العلم، لبازمول).

(٢) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٥٢٢).

(٣) (المصدر السابق) (١/٥٢٣).

(٤) (نصائح منهجية، لحاتم العوني، بتصرف) (ص ٣٥).

## ثامناً: إضاءات على التصنيف والتحقيق

### ١ - التصنيف:

#### ❖ علوُّ الهمة في التصنيف:

قال أبو عبيدٍ عن كتابه غريب الحديث: (مكثتُ في تصنيفِ هذا الكتابِ أربعينَ سنةً، وربما كنتُ أستفيدُ الفائدةَ من أفواه الرجالِ، فأضعُها في الكتابِ، فأبيتُ ساهراً فرحاً منِّي بتلكِ الفائدةِ، وأحدُكم يجيئني، فيقيمُ عندي أربعةَ أشهرٍ، خمسةَ أشهرٍ، فيقولُ: قد أقمْتُ الكثيرَ<sup>(١)</sup>).

وهذا الإمامُ محمدُ بنُ جريرِ الطبريُّ (قالَ رحمه اللهُ لأصحابه: هل تَنشَطُونَ لتاريخِ العالمِ من آدمَ إلى وقتنا؟ قالوا: كم قدرُهُ؟ فذكرَ نحوَ ثلاثينَ ألفَ ورقةٍ. فقالوا: هذا مما تَفنى الأعمارُ قبلَ تمامه. فقال: إنا لله... ماتتِ الهِمَمُ. فاختصرَ ذلكَ في نحوِ ثلاثةِ آلافِ ورقةٍ. ولما أن أرادَ أن يملِيَ التفسيرَ قالَ لهمُ نحواً من ذلكَ، ثم أملاه على نحوٍ من قدرِ التاريخِ)<sup>(٢)</sup>.

وهذا شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ لم يمنعه السجنُ من التأليفِ، قالَ تلميذه الحافظُ عمرُ البزارُ: (ومن أعجبِ الأشياءِ في ذلكَ أنَّه في محتتهِ الأولى بمصرَ، لما أخذَ وسُجنَ، وحيلَ بينه وبينَ كُتبه، صنَّفَ عدةَ كتبٍ صغاراً

(١) (تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي) (٤٠٧/١٢).

(٢) (سير أعلام النبلاء، للذهبي) (٢٧٥، ٢٧٤/١٤).

وكباراً، وذكرَ فيها ما احتاجَ إلى ذكرِهِ من الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء، وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم، وعزا كلَّ شيءٍ من ذلك إلى ناقله وقائمه بأسمائهم، وذكرَ أسماء الكتب التي ذكرَ فيها، وأيِّ موضع هو منها؛ كلُّ ذلك بديهةً من حفظه؛ لأنَّه لم يكنْ عنده حينئذٍ كتابٌ يطالعُه. ونُقبت واختُبرت واعتُبرت؛ فلم يوجدَ فيها بحمدِ الله خللٌ ولا تغييرٌ، ومن جملةِها كتابُ الصارمِ المسلولِ على شاتمِ الرسولِ (١).

و(لقد أفنى ابنُ القيمِ حياته متقبلاً في أعطافِ العلم، في حله وترحاله، في سفره وإقامته،... لم يشغله شيءٌ من ذلك عن التأليف والنظر، فابنُ القيمِ وإن سافرَ لا يحملُ إلا زاداً ومزادةً، فمكتبته في صدره، ويكفي في هذا أنه ألفَ جملةً من كتبه في حالِ سفره عن وطنه وبعده عن مكتبته، وهي: مفتاحُ دارِ السعادة - روضةُ الحيين - زادُ المعاد - بدائعُ الفوائد - تهذيبُ سننِ أبي داود) (٢).

### ❖ حول منهج التأليف:

(إن بعضَ الكتاباتِ الإسلامية تميلُ إلى التَّنظيرِ الثقافيِّ، ولا يَتِمُّ تنزيلُها على أرضِ الواقعِ الذي تعيشُه الأمةُ، فهناك فجوةٌ، عميقةٌ، فسيحةٌ بينَ الهمِّ الثقافيِّ، والمعاناةِ اليوميةِ التي تعيشُها الأمةُ الإسلامية، وإن التجريدَ والإغراقَ في التَّنظيرِ، وتحويلَ الكتابةِ إلى متعةٍ ثقافيةٍ، أو أطروحاتٍ فنيةٍ، لا يخدمُ الدعوةَ الإسلاميةَ بحالٍ، فما لم تتحولِ الأطروحاتُ الثقافيةُ إلى

(١) (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لعمر البزار) (ص ٢٢).

(٢) (صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد العفاني) (١/٥١٦).

مشروعات عملٍ، وإنجازاتٍ مُشاهدةٍ ملموسةٍ؛ فإنها تبقى كلماتٍ باردةٍ، لا حياةَ فيها.

إن الكتابةَ الإسلاميةَ ليست صنعةً يتكسبُ بها المرءُ، أو هوايةً يَشغَلُ بها وقتَهُ، وإنما هي إحساسٌ بالمسؤوليةِ، يَنْبُضُ بمشكلاتِ الأمةِ، واحتياجاتِها<sup>(١)</sup>.

(إنَّ المنهجَ العلميَّ يقتضي عرضَ الأقوالِ، والحُججِ، بأمانةٍ كاملةٍ، ثم يرجحُ بناءً على القواعدِ العلميةِ المتبعةِ، عند علماءِ الأمةِ؛ للترجيحِ بينَ الأقوالِ، قال ابنُ تيميَّةَ: (يجبُ أن يكونَ الخطابُ، في المسائلِ المشكَّلةِ، بطريقِ ذكرِ دليلٍ كُلِّ قولٍ، ومعارضةِ الآخرِ له، حتى يتبيَّنَ الحقُّ بطريقِهِ، لمن يريدُ اللهُ هدايتهُ)<sup>(٢)</sup>.

### ❖ أغراضُ التأليفِ:

قال حاجي خليفة: (ثمَّ إنَّ التأليفَ على سبعةِ أقسامٍ، لا يُؤلَّفُ عالمٌ عاقلٌ إلا فيها، وهي: إمَّا شيءٌ لم يُسبقَ إليه فيخترِعُهُ، أو شيءٌ ناقصٌ يُتمِّمُهُ، أو شيءٌ مُغلَقٌ يشرِّحُهُ، أو شيءٌ طويلٌ يختصرُهُ دونَ أن يخلَّ بشيءٍ من معانيهِ، أو شيءٌ متفرقٌ يجمعهُ، أو شيءٌ مختلطٌ يرتبُهُ، أو شيءٌ أخطأ فيه مصنفُهُ فيُصلِّحُهُ)<sup>(٣)</sup>.

(١) (الكتاب الإسلامي، لأحمد الصويان) (٧٢).

(٢) (الكتاب الإسلامي، لأحمد الصويان) (ص ٥٨).

(٣) (كشف الظنون، لحاجي خليفة) (٣٥/١).

قال الإمام النوويُّ في بيانِ آدابِ التأليفِ: (وينبغي أن يكونَ اعتناؤه منَ التصنيفِ بما لم يُسبقَ إليه أكثرَ، والمرادُ بهذا ألا يكونَ هناكَ مصنّفٌ يُعني عن مصنّفِهِ في جميعِ أساليبه، فإنْ أغنى عن بعضها، فليصنّفْ من جنسه ما يزيدُ زياداتٍ، يحتفلُ بها مع ضمِّ ما فاتته من الأساليبِ)<sup>(١)</sup>.

### ❖ قال الزركشيُّ:

(فائدة:

كانَ بعضُ المشايخِ يقولُ: العلومُ ثلاثة؛ علمٌ نضجَ وما احترقَ، وهو علمُ الأصولِ والنحوِ، وعلمٌ لا نضجَ ولا احترقَ، وهو علمُ البيانِ والتفسيرِ، وعلمٌ نضجَ واحترقَ، وهو علمُ الفقهِ والحديثِ.

وكانَ الشيخُ صدرُ الدّينِ بنُ المرحلِ رحمه اللهُ يقولُ: ينبغي للإنسانِ أن يكونَ في الفقهِ قيماً، وفي الأصولِ راجحاً، وفي بَقِيَّةِ العلومِ مُشاركاً.

وقالَ صاحبُ الأحوذِيّ: ولا ينبغي لحصيفٍ أن يتصدّى إلى تصنيفٍ أن يعدلَ عن غرضينِ إما أن يخترعَ معنىً، وإما أن يتدعَ وضعاً ومبنىً، وما سوى هذينِ الوجهينِ فهو تسويدُ الورقِ، والتحلّي بحليّةِ السَّرِقِ)<sup>(٢)</sup>.

(١) (المجموع، للنووي) (٣٠/١).

(٢) (المنثور في القواعد، للزركشي) (٧٢/١).

## ٢- تنبيهات ومحاذير تتعلق بالتحقيق:

## ❖ مجافاة بعض كتب التراث المنشورة لمقتضيات التحقيق:

(تُقَلَّبُ النظرَ في بعض ما يُنشرُ من كتبِ التراثِ، فتجدُ فيها مجافاةً صريحةً لما يَتطلَّبُهُ التحقيقُ بحسبِ أصولِهِ المعروفةِ، حيثُ تبحثُ عن نسخِ الكتابِ الخَطِيَّةِ فتجدُ الاعتمادَ على نُسخِ سقيمةٍ مع وجودِ ما هو أفضلُ منها، وقد لا تجدُ تنويهاً بالنُّسخِ، أو تعريفاً بها، وتبحثُ عن إثباتِ الفروقِ بين النُّسخِ فلا تكادُ تجدُ شيئاً، وتبحثُ عن الضبطِ بالشكلِ فتجدُ الإهمالَ الواضحَ، وتبحثُ عن التصحيحِ والتصويبِ فيقابلُك ما يُعكِّرُ صفوكَ من التصحيفاتِ والتحريفاتِ، والتسرعِ في إكمالِ السقطِ، والخرمِ الموجودِ في النسخةِ على غيرِ أساسٍ علميٍّ يتلاءمُ مع النصِّ مما يُنمُّ عن جهلٍ فاضحٍ بأصولِ التحقيقِ وأساليبِ اللغةِ العربيةِ، وتبحثُ عن تخريجِ النصوصِ فتفاجأُ بالتعاضبي عن الكثيرِ، والقصورِ الواضحِ الذي لا يشفي الغليلَ، وتبحثُ عن الفهارسِ فلا تقفُ في بعضِ الأحيانِ على شيءٍ، وإن وجدَ فقد لا يكونُ سوى فهرسِ الموضوعاتِ، ومع ذلكِ تجابهكُ الجرأةُ بكتابةِ تحقيقِ فلانِ بنِ فلانٍ على غلافِ الكتابِ، وليسَ فيه من التحقيقِ سوى حروفِ هذه الكلمةِ ورسمِها)<sup>(١)</sup>.

## ❖ الإحالة إلى الفرع دون الأصل:

(يعمدُ المحقِّقُ إلى توثيقِ النصوصِ الواردةِ في الكتابِ من كتبه هو ويتركُ الكتبَ الأصولَ التي أخرجتْ هذا النصَّ، والأصلُ أن يتكلمَ عن

(١) (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيان) (ص ٧٦).

هذا النصّ في موضعه من هذا الكتاب، فقد لا يتيسّر الوقوف على كتابه الآخر، هذا إن كان ما أحال إليه كتاباً مطبوعاً، أو موجوداً فعلياً، لا ذهنياً<sup>(١)</sup>.

### ❖ إثقال الكتب بالحواشي:

(يُسرفُ بعضُ المحقّقين في التعليقات والحواشي والنقول التي يُثقلُ بها كاهلَ النصِّ المُحقَّق حتى تطغى عليه بحيثُ نجدُ في بعضِ النصوصِ المحقّقة سطرًا واحدًا من النصِّ في أعلى الصفحة، والباقي للتعليقات والحواشي، وأحيانًا يتحوّل هذا السطرُ إلى مجردِ نقطٍ يفصلُها خطٌّ تحتهُ تعليقٌ يستغرقُ صفحاتٍ عديدةً حولَ نقطةٍ واحدة، وكثيرٌ من هذه التعليقات والحواشي يُتزيّدُ فيها بشكلٍ لا تدعو الحاجةُ أو الضرورةُ إليه، وربما كانت مجردَ نقلٍ من المصادرِ رغبةً في الاستكثار، والتظاهرِ بسعةِ الاطلاع).<sup>(٢)</sup>

### ❖ المشاغبة في التعليق والتعقيب:

(يأتي الباحثُ فيعلقُ على كلامِ أحدِ العلماء، أو يتعقبُهُ فيأتي بجملةٍ اعتراضيةٍ، خارجةٍ عن أدبِ الحوارِ العلميِّ، وليسَ فيها فائدةٌ، فالكتبُ العلميةُ، وكذلك التحقيقُ العلميُّ، ينبغي أن تتسمَ بالجديةِ، والبعدِ عن الأساليبِ الصحفيةِ، والمهاراتِ الكلاميةِ، فيجبُ على المؤلّفِ، أو المحقّق أن يصبَّ جهدهُ في الموضوع الذي يتولّاهُ، ويحاولَ قدرَ استطاعتهِ، تقليلَ

(١) (مزلق في التحقيق، للشمراني).

(٢) (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيان) (ص ٦٥).



التساؤلاتِ وعلاماتِ التعجبِ، والكلامِ غيرِ العلميِّ، الذي لا يخدمُ البحثَ، دونَ التعرضِ لشخصِ المصنّفِ<sup>(١)</sup>.

### ❖ عدمُ الاهتمامِ بمخطوطاتِ الكتابِ:

(يقتصرُ البعضُ على إعادةِ طبعِ كتابٍ كانَ قد طُبِعَ قديماً دونَ تحقيقِهِ على نُسخٍ أخرى، أو البحثُ عن النسخةِ التي طُبِعَ عليها إذا أمكنَ التعرفُ عليها؛ لأنَّ الكتبَ التي طُبِعَتْ قديماً لا تشيرُ إلى المخطوطاتِ التي طُبِعَتْ عليها غالباً. ومع ذلك نجدُ الكتابَ في طبعةٍ جديدةٍ يحملُ عبارةً حَقَّقَهُ فلانٌ، أو لجنةٌ من العلماءِ، وتبحثُ عن شيءٍ من مظاهرِ التحقيقِ فلا تجدُ إلا ما يجدهُ الظمانُ الذي ينتظرُ السرابَ)<sup>(٢)</sup>.

### ❖ عدمُ ثقةِ المحققِ في عمله:

(فيطلبُ من أحدِ المشهورينَ، التقديمَ لعملِهِ، ووَضَعَ اسمَهُ بخطِّ بارزٍ على غلافِ الكتابِ، مُقدِّماً أو مشرفاً، وقبلَ اسمِ المحققِ، بغرضِ ترويجِ الكتابِ، وتسويقهِ مثلَ المتاجرةِ بالأسماءِ العلميةِ، فيحققُ أحدُ الناسِ كتاباً، ولكي يَروِجَ يحاولُ التقديمَ للعلماءِ المشهورينَ؛ رغبةً منهم في نشرِ الكتابِ)<sup>(٣)</sup>.

ولكن قد يكونُ التقديمُ للكتابِ مطلوباً، لاسيما إذا كان الموضوعُ من الموضوعاتِ العقديّةِ التي يكونُ التقديمُ لها من أحدِ علماءِ أهلِ السنةِ

(١) (مزلق في التحقيق، للشمراني).

(٢) (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيلان) (ص ٧١).

(٣) (مزلق في التحقيق، للشمراني).

دليلاً - في الغالب - على سلامة منهج مؤلفها وعقيدته.

### ❖ المتاجرةُ بعناوينَ جديدةٍ للكتب:

(انتزاعُ بعضِ الأبوابِ من الكتبِ المنشورةِ والمشهورةِ لمؤلفينَ بارزينَ وتحقيقه ونشره باسمِ البابِ الذي جاءَ به، أو بوضعِ اسمٍ يتناسبُ معِ المادةِ المتنوعةِ من الكتابِ، ورأيتُ شيئاً من ذلكِ في أبوابِ انتزعتْ من العقدِ الفريدِ لابنِ عبدِ ربِّه، ومنِ إغاثةِ اللفهانِ لابنِ القيمِ، ومنِ الأشباهِ والنظائرِ لجلالِ الدِّينِ السيوطيِّ في النحوِ، ومنِ إحياءِ علومِ الدِّينِ للغزاليِّ، ومنِ بعضِ كتبِ الأحاديثِ وغيرها، وبعضُ منِ يعمدونَ إلى مثلِ هذا الصنيعِ لا يُشيرونَ إلى أنَّه منتزَعٌ من الكتابِ الفلانيِّ؛ بل ربُّما زادَ بعضُهُم في الإيهامِ بذكرِ مخطوطٍ للكتابِ الذي انتزَعَ منه البابُ، أو الاقتصارِ منها على القدرِ المُنتزَعِ، مما قد يوهِّمُ أن المنشورَ كتابٌ آخرٌ أو جديدٌ للمؤلفِ)<sup>(١)</sup>.

### ٣- أسبابُ إعادةِ تحقيقِ كتابٍ سبقَ تحقيقُه:

ولابدَّ هنا من الإشارةِ إلى أمورٍ توضعُ في الحسبانِ عندَ الرغبةِ في إعادةِ تحقيقِ كتابٍ سبقَ نشره وتحقيقه وهي:

(أ) أن يكونَ المخطوطُ قد نُشِرَ دونَ آيةِ مراعاةٍ لأصولِ التحقيقِ، وقواعدهِ المعروفةِ.

(ب) أن يكونَ الكتابُ قد نُشِرَ على مخطوطةٍ واحدةٍ سقيمةٍ، أو

(١) (تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيان) (ص ٦٥).

أكثرَ من مخطوطةٍ بهذه الحالة، مع وجودِ مخطوطاتٍ أُخرَ نفيسةٍ للكتاب، ولكنها أُهملت، ولم تُوضعَ في الحُسابان.

(ج) أن يكونَ الكتابُ قد نُشِرَ على مخطوطةٍ واحدةٍ بوصفِها نسخةً وحيدةً حسبَ علمِ المُحقِّقِ، ثمَّ ظهرتْ للكتابِ نسخةٌ أُخرى موثَّقةٌ، وفيها إضافاتٌ، وزياداتٌ، وتصحيحاتٌ، وفروقٌ تُفيدُ في تقويمِ نصوصِ الكتابِ وتحريرِها.

(د) أن يكونَ المُحقِّقُ السابقُ قد وَقَعَ في أوهامٍ تُؤدِّي إلى الخلطِ في عنوانِ الكتابِ وصحةِ نسبتهِ إلى مؤلفِهِ، فيأتي الكتابُ بغيرِ اسمِهِ الذي وُضِعَ لَهُ، أو منسوباً إلى غيرِ مؤلفِهِ، مع الأوهامِ الكثيرةِ في التعليقاتِ والتصحيحاتِ مما يُؤدِّي إلى تشويهِ النصِّ، ثمَّ يأتي المُحقِّقُ اللاحقُ لِيُقومَ ذلكَ كُلَّهُ، ويأتي به على الوجهِ الصحيحِ.

(هـ) أن يكونَ المُحقِّقُ السابقُ ممن يتصرفُ في صُلبِ الكتابِ بالإضافاتِ، أو النقصِ أو التغييرِ والتبديلِ على غيرِ أساسٍ، كأن يُضيفَ عباراتٍ وكلماتٍ من عندهِ في صُلبِ الكتابِ، لا مبرراً لها، أو يحدفَ منه نصوصاً لأغراضٍ في نفسهِ أو يُخلِّ بترتيبِ أبوابِ الكتابِ على خلافِ ما جاءتْ عليه عندَ المؤلفِ.

(ز) أن تَشيعَ في جهدِ السابقِ التصحيحاتُ والتحريفاتُ التي تطمسُ معالمَ النصِّ، وتُسَوِّجُ إعادةَ تحقيقِهِ، إلى جانبِ إهمالِ مقدمةِ التحقيقِ (١).

(١) تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيان (ص ٧٣).

## ٤ - من أئمة المحققين:

(من العلماء والمحققين الذين أخرجوا للناس الكتب، ونشروا فيهم آثار السلف، في الحديث، واللغة، والفقه، والتاريخ، والأدب، وغير ذلك من فنون الإسلام، ولا يمتري أحد في أن ما أخرج هؤلاء أصح نصاً:

- الشيخ محمد الحسيني: وهو وحده الذي أخرج كتاب (لسان العرب) بأجزائه العشرين.

- الشيخ محمد الزهري الغمراوي: وهو الذي أخرج كتاب (إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين) وهو في عشر مجلدات كبار، وهو وحده الذي أخرج (مسند الإمام أحمد) بأجزائه الستة المعروفة.

- الشيخ إبراهيم الدسوقي: أخرج وحده (إرشاد الساري شرح صحيح البخاري) للقسطلاني بأجزائه العشرة.

وكان في مصر - مثلاً - المشايخ: محمد العدوي، وطه محمود، ونصر الهوري، وإبراهيم الفيومي، ومحمد البليسي، وسيد بن علي المرصفي، وكان في العراق ممن قام على نشر كتب السلف وعلومهم، الشيخ محمود شكري الألوسي، وفي الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي.

وكان من أولئك العلماء المتقدمين من وضع مدرسة تُعلم أصول النشر، كما فعل الشيخ سيد بن علي المرصفي المصري، فإنه تخرج لديه في

النشر والتحقيق ثلثة من كبار العلماء، منهم الشيخ أحمد شاكر، وأخوه الشيخ محمود شاكر، والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد فرحمهم الله أجمعين<sup>(١)</sup>.

ومن المحققين الكبار أيضاً من مصر: عبدالسلام هارون، والسيد أحمد صقر وعائشة بنت الشاطئ ومحمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو، ومن سوريا: محمد كرد علي وعز الدين التنوخي، ومن العراق محمد بهجة الأثري ومصطفى جواد، ومن المملكة العربية السعودية حمد الجاسر، ومن الجزائر محمد بن أبي شنب، ومن تونس حسن حسني عبد الوهاب، ومن المغرب الأقصى عبدالحفي الكتاني.

#### ٥ - فائدة:

❖ **الفرق بين التأليف والتصنيف:** أن التأليف أعم من التصنيف وذلك أن التصنيف تأليف صنف من العلم ولا يقال للكتاب إذا تضمن نقض شيء من الكلام مصنف؛ لأنه جمع الشيء وضده، والقول ونقيضه، والتأليف يجمع ذلك كله<sup>(٢)</sup>.



(١) كيف يبني طالب العلم مكتبته، للخضير، بتصرف.

(٢) (الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري) (ص ٢٤٠).

## تاسعاً: إضاءات على التعليم

### ١- التَّعْلِيمُ بَيْنَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ:

(وازن - رعاك الله - بين الدراسة التي أثمرتها تلك الرحلات، التي عرَّكت الطلابَ الراحلين عركاً طويلاً، وبين دراسة طلاب جامعاتنا اليوم! يدرسون فيها أربع سنواتٍ، لا حضوراً ولا سماعاً، ولا مناقشةً ولا اقتناعاً، ولا تطاعماً في الأخلاق، ولا تأسي، ولا تصحيحاً لأخطائهم، ولا تصويباً، ولا تشذيباً لمسالكهم، ويتسقطون المباحثَ المظنونة السؤال، من مقرراتهم (المختصرة) ثم يسعون إلى تلخيص تلك المقررات، ثم يسعون إلى إسقاط البحوث غير الهامة من المقررات، يتلطفهم وتمتقهم لبعض الأساتذة، فيجدون ما يسرهم، وإن كان يضُرهم، وبذلك يفرحون، وبعد ذلك يتعالون بضخامة الألقاب، مع فراغ الوطاب، ويُجهلون العلماء الأصلاء، بأرائهم المشقة البتراء، ولم يقعدوا مقاعدهم، ولم يتذوقوا بصارة التحصيل عند القدماء! ولكنهم عند أنفسهم أعلم من السابقين!

ويشهد المراقب للحال العلميَّة اليوم كثرةً متزايدةً في الجامعيين، وفقراً متزايداً في العلم وأهله، ونقصاً كبيراً مشهوداً في العمل بالعلم، وهذه مصيبةٌ من أدهى المصائب، والله المرجوُّ أن يُلهم المنوطَ بهم أمورُ التعليم

في البلاد الإسلامية، أن يتبصروا بالأمر، ويتداركوا هذا الخطر، قبل تأصله وإزمانه، واستفحال آثاره<sup>(١)</sup>.

## ٢- آداب المعلم:

### ❖ من آداب المعلم:

- الشفقة على المتعلمين.
- أن لا يطلب على إفادة العلم أجراً.
- لا يدع من نصح المتعلم شيئاً.
- أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق، بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح.
- أن لا يُبَّح في نفس المتعلم العلوم الأخرى، التي لا يُدرِّسها هو له.
- أن يقتصر بالمعلم على قدر فهمه.
- أن يكون المعلم عاملاً بعلمه، فلا يكذب قوله فعله<sup>(٢)</sup>.

### ❖ توفر الأهلية:

على المدرس (أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه... قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المتشبع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور)<sup>(٣)</sup>.

(١) (صفحات من صبر العلماء، لأبي غدة، بتصرف) (ص ١٠٩، ١١٠).

(٢) (أبجد العلوم، لصديق حسن خان، بتصرف) (١/١٢٧ - ١٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥١١٩) ومسلم (٢١٣٠).

وعن الشبلي: مَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ أَوَانِهِ، فَقَدْ تَصَدَّدَى لِهَوَانِهِ.  
وعن أبي حنيفة: مَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ فِي غَيْرِ حِينِهِ، لَمْ يَزَلْ فِي ذُلِّ مَا  
بَقِيَ<sup>(١)</sup>.

### ❖ عَدَمُ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ:

(عن ابن عباس رضي الله عنهما: إِذَا أَخْطَأَ الْعَالِمُ لَا أَدْرِي،  
أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

وقيل: يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُورِثَ أَصْحَابَهُ لَا أَدْرِي؛ لِكَثْرَةِ مَا يَقُولُهَا.  
وقال محمد بن عبد الحَكَم: سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ  
الْمُنْتَعَةِ، أَكَانَ فِيهَا طَلَاقٌ، أَوْ مِيرَاثٌ، أَوْ نَفَقَةٌ تَجِبُ، أَوْ شَهَادَةٌ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ  
مَا نَدْرِي.

وَأَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَ الْمَسْئُولِ لَا أَدْرِي، لَا يَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ، كَمَا يَضُطُّهُ بَعْضُ  
الْجَهْلَةِ، بَلْ يَرْفَعُهُ؛ لِأَنَّهُ دَلِيلٌ عَظِيمٌ عَلَى عِظَمِ مَحَلِّهِ، وَقُوَّةِ دِينِهِ، وَتَقْوَى  
رَبِّهِ، وَطَهَارَةِ قَلْبِهِ، وَكَمَالِ مَعْرِفَتِهِ، وَحُسْنِ تَثْبِيْتِهِ<sup>(٢)</sup>.

(قال الهيثم بن جميل: سَمِعْتُ مَالِكًا، سُئِلَ عَنِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ  
مَسْأَلَةً، فَقَالَ فِي اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنْهَا: لَا أَدْرِي.

وعن خالد بن خدّاش، قال: قَدِمْتُ عَلَى مَالِكٍ بِأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً،  
فَمَا أَجَابَنِي مِنْهَا إِلَّا فِي خَمْسٍ مَسْأَلَةٍ<sup>(١)</sup>.

(١) (تذكرة السامع والتكلم، لابن جماعة، بتصرف) (ص ٤٥).

(٢) (المصدر السابق) (ص ٤٢ - ٤٣).



(وَسُئِلَ - أَيُّ مَالِكٍ - عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: لَا أَدْرِي فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ خَفِيفَةٌ، سَهْلَةٌ، فَعَضِبَ، وَقَالَ: لَيْسَ فِي الْعِلْمِ خَفِيفٌ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [الْمُزَّمِّل: ٥]؟ فَالْعِلْمُ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَخَاصَّةً مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(١)</sup>.

قال ابن وهب: (لو كتبتنا عن مالك: لا أدري، لمأنا الألواح)<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي الذئبال قال: (تعلم: لا أدري؛ فإنك إن قلت: لا أدري، علموك حتى تدري، وإن قلت: أدري، سألوكم حتى لا تدري)<sup>(٣)</sup>.

قال الأجرى مُحذراً أهل العلم من ترك (لا أدري)، فيما لا علم لهم به: (وأما الحجّة للعالم يُسأل عن الشيء لا يعلمه، فلا يستنكف أن يقول: لا أعلم، إذا كان لا يعلم، وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، اتبعوا في ذلك نبيهم صلى الله عليه وسلم؛ لأنه إذا كان سئل عن الشيء مما لم يتقدم له فيه علم الوحي من الله عز وجل فيقول: لا أدري. وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء، لم يتقدم له فيه علم أن يقول: الله أعلم، ولا علم لي به، ولا يتكلف ما لا يعلمه، فهو أعذر له عند الله، وعند ذوي الألباب)<sup>(٤)</sup>.

(١) (سير أعلام النبلاء) (٧٧/٨).

(٢) (صفة الفتوى، لابن حمدان) (ص٨).

(٣) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (٨٣٩/٢).

(٤) (المصدر السابق) (٨٤٢/٢).

(٥) (أخلاق العلماء، للأجرى) (ص١٢٨).

## ❖ مَعْرِفَةُ طُرُقِ التَّعْلِيمِ:

قال ابنُ خلدون: (وقد شاهدنا كثيراً منَ المُعلِّمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرقَ التعليمِ وإفادته، ويحضرون للمُتعلِّم في أوَّلِ تعليمه المسائلَ المُقفلة منَ العِلْم، ويُطالبونه بإحضارِ ذهنه في حلِّها، ويحسبون ذلك مراناً على التَّعليمِ وصواباً فيه، ويُكلِّفونه رعيَ ذلك وتخصيِّله، ويخلطون عليه بما يُلقون له من غاياتِ الفنونِ في مبادئها، وقَبَل أن يستعدَّ لفهمها..)<sup>(١)</sup>.

وتكلَّم الشَّيخُ عبدُالقادرِ بنُ بدرانٍ عن الجهلِ بطُرُقِ التَّعليمِ فقال: (وهذا قد وقع فيه غالبُ المُعلِّمين فتراهم يأتِي إليهم الطالبُ المبتدئ ليتعلَّم النَّحوَ مثلاً فيشغَلونه بالكلامِ على البَسْمَلَةِ ثُمَّ على الحَمْدَلَةِ أَيَّاماً بل شهوراً ليُوهِمُوهُ سعةَ مدارِكهم وغزارةَ عِلْمهم، ثُمَّ إذا قُدِّرَ له الخلاصُ من ذلك أخذوا يُلقنونه متناً أو شرحاً بحواشيه وحواشي حواشيه، ويحشرون له خلافَ العلماءِ ويشغَلونه بكلامٍ من ردِّ على القائلِ، وما أُجيبَ به عن الردِّ، ولا يزالون يضربون له على ذلك الوترِ حتَّى يرتكزَ في ذهنه أن نوالَ هذا الفنِّ من قبيلِ الصَّعبِ الذي لا يصلُ إليه إلا من أوتيَ الولايةَ، وحضَرَ مجلسَ القربِ والاختصاصِ..)<sup>(٢)</sup>.

قال ابنُ خلدون: (ولا ينبغي للمعلِّم أن يزيدَ متعلِّمه على فهمِ كتابه الذي أكبَّ على التَّعليمِ منه بحسبِ طاقتِه، وعلى نسبةِ قبوله للتَّعليمِ

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٣٣).

(٢) (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن بدران) (١/٢٦٥).

مُبتدئاً كان أو مُنتهياً، ولا يخلطُ مسائلَ الكتابِ بغيرِها حتَّى يعيَه مِنْ أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ ويحصلَ أغراضَه، ويستوليَ منه على ملكةٍ بها ينفذُ في غيرِه..... وكذلك ينبغي لك أن لا تُطوّلَ على المتعلّمِ في الفنِّ الواحدِ بتفريقِ المجالسِ وتقطيعِ ما بينَها؛ لأنَّه ذريعةٌ إلى النسيانِ وانقطاعِ مسائلِ الفنِّ بعضها من بعضٍ، فيعسرُ حصولُ الملكةِ بتفريقِها...<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ بَدْرانَ: (وحاصلُ الأمرِ أنَّ الأستاذَ ينبغي أن يكونَ حكيماً يتصرفُ في طرقِ التعليمِ بحسبِ ما يراهُ مُوافقاً لاستعدادِ المتعلّمِ وإلا ضاعَ الوقتُ بقليلٍ مِنَ الفائدةِ وربّما لم تُوجدِ الفائدةُ أصلاً. وطرقُ التعليمِ أمرٌ ذوقِيٌّ وأمانةٌ مُودعةٌ عندَ الأساتذةِ فمنَ أدّأها أُثيبَ على أدائها ومنَ حادّها كان مطالباً بها...)<sup>(٢)</sup>.

### ٣- من مهمّاتِ التعليمِ:

#### أ- الاهتمامُ بأعمالِ القلوبِ:

قال الفقيهُ ابنُ قدامةَ: (وأنتَ تجدُ الفقيهَ يتكلّمُ في الظهارِ، واللعانِ، والسبقِ، والرميِّ، ويفرّعُ التفريعاتِ التي تمضي الدهورَ، ولا يحتاجُ إلى مسألةٍ منها، ولا يتكلّمُ في الإخلاصِ، ولا يحذرُ مِنَ الرياءِ! وهذا عليه فرضُ عينٍ؛ لأنَّ في إهماله هلاكه، والأولُ فرضُ كفايةٍ، ولو أنّه سُئِلَ عن علةِ تركِ المناقشةِ للنفسِ في الإخلاصِ والرياءِ، لم يكنْ له جوابٌ)<sup>(٣)</sup>.

(١) (مقدمة ابن خلدون) (ص ٥٣٤).

(٢) (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن بدران) (١/ ٢٦٨ - ٢٦٩).

(٣) (مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة) (ص ٢٧، ٢٨).

**ب- معرفة كيفية طرح الشبه والإجابة عنها:**

على المدرّس (أن لا يذكرَ شبهةً في الدينِ في درسٍ، ويُؤخّرَ الجوابَ عنها إلى درسٍ آخرَ، بل يذكرُهما جميعاً، أو يدعُهما جميعاً، ولا يتقيّدَ في ذلك لمصنّفٍ، يلزمُ منه تأخيرُ جوابِ الشبهةِ عنها؛ لما فيه من المسألة، لا سيّما إذا كان الدرسُ يجمعُ الخواصَّ والعوامَّ)<sup>(١)</sup>.

**ج- التوسط في التعليم:**

(يُنبغي ألا يُطيلَ المعلّمُ الدرسَ تطويلاً يُملُّ، ولا يقصّره تقصيراً يخلُّ، ويُراعي في ذلك مصلحةَ الحاضرين في الفائدةِ في التطويلِ، ولا يبحثُ في مقامٍ أو يتكلّمَ على فائدةٍ إلا في موضعٍ ذلك، فلا يقدمه عليه ولا يؤخّره عنه، إلا لمصلحةٍ تقتضي ذلك وترجّحُه)<sup>(٢)</sup>.



(١) تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة، بتصرف (ص ٣٨).

(٢) المصدر السابق، بتصرف (ص ٣٨ - ٣٩).

## عاشراً: إضاءات في آخر الطريق

### ١- كن عالماً ربانياً:

قال ابن القيم: (فإذا استكمل العبد هذه المراتب الأربع - أي: العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر عليه - صار من الربانيين؛ فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يُسمى ربانياً؛ حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويُعلمه، فمن علم وعمل وعلم؛ فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السموات)<sup>(١)</sup>.

### ٢- تجرد من الدنيا:

قال عبد الله بن المبارك: (من شرط العالم، أن لا تخطر محبة الدنيا على باله. وقيل له: من سفلة الناس؟ قال: الذين يتعیشون بدِينهم)<sup>(٢)</sup>.  
وروي أن مالك بن دينار قال: (سألت الحسن: ما عقوبة العالم؟ قال: موت القلب. قلت: وما موت القلب؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة)<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ بكر أبو زيد: (إن بلغت منصباً فتذكر أن حبل الوصل إليه طلبك للعلم، فبفضل الله ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في التعليم، أو الفتيا، أو القضاء... وهكذا فأعط العلم قدره وحظه من

(١) (زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم) (١٠/٣).

(٢) (حلية الأولياء، لأبي نعيم) (١٧٨/٨) بنحوه.

(٣) (الآداب الشرعية، لابن مفلح) (٤٩/٢).

العمل به وإنزاله منزلته.

واحذرْ مسلكَ مَنْ لا يرجُونَ لله وقاراً، الذين جعلوا الأساسَ حفظَ المنصبِ، فيَطوونَ ألسنتهم عن قولِ الحقِّ، ويحملهم حبُّ الولايةِ على المجارةِ.

فالزَمْ - رحِمَكَ اللهُ - المحافظةَ على قيمتك بحفظِ دينك وعلمك، وشرفِ نفسك، بحكمةٍ ودرايةٍ وحسنِ سياسةٍ..<sup>(١)</sup>.

### ٣- ارفع قدر العلم:

(اجتازَ الحسنُ البصريُّ رحمه الله يوماً ببعضِ القراءِ على أبوابِ السلاطينَ فقال: أقرحتم جباهكم، وفرطحتم نعالكم، وجئتم بالعلمِ تحمّلونه على رقابكم إلى أبوابهم، فزهدوا فيكم، أما إنكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكونوا هم الذين يُرسلون إليكم لكان أعظمَ لكم في أعينهم، تفرّقوا فرّقَ اللهُ بين أضلاعكم)<sup>(٢)</sup>.

### ٤- أدّ زكاة علمك:

قال الشيخُ بكر أبو زيد: (أدّ زكاة العلم: صادعاً بالحقِّ، أمّاراً بالمعروفِ، نهاءً عن المنكرِ موازناً بين المصالحِ والمضارِّ، ناشراً للعلمِ، وحبّاً للنفعِ وبذلِ الجاهِ، والشفاعةِ الحسنةِ للمسلمين في نوائبِ الحقِّ والمعروفِ. وعن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أن النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم قال:

(١) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص ٥٣).

(٢) (شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم، من مجموع رسائل ابن رجب) (١/٥٧، ٥٨).

((إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عمله إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له)) (١).

قال بعضُ أهلِ العلم: هذه الثلاثُ لا تجتمعُ إلا للعالمِ الباذلِ لعلمه، فبدله صدقةٌ ينتفعُ بها، والمتلقِي لها ابنٌ للعالمِ في تعلّمه عليه. فاحرصْ على هذه الحليةِ فهي رأسُ ثمرةِ علمك.

ولشرفِ العلم، فإنه يزيدُ بكثرةِ الإنفاقِ، وينقصُ مع الإشفاقِ وآفته الكتمانُ.

ولا تحملكِ دعوى فسادِ الزمانِ، وغلبةِ الفساقِ، وضعفِ إفادةِ النصيحةِ عن واجبِ الأداءِ والبلاغِ، فإن فعلتَ فهي فعلةٌ يسوقُ عليها الفساقُ الذهبَ الأحمرَ؛ لیتَمَّ لهم الخروجُ على الفضيلةِ ورفعِ لواءِ الرذيلةِ (٢).

#### ٥- وبعد.. فهل تنتهي المسيرة، وتتوقفُ الخطواتُ؟

(قال بعضُ أهلِ العلم: ينبغي للمرءِ أن يذخرَ أنواعَ العلومِ ... وأن يستكثرَ من العلومِ، ولا يعتقدَ الغنى عنها، فإنه إن استغنى عنها في حالِ احتاجَ إليها في حالٍ؛ وإن سئِمها في وقتٍ ارتاحَ إليها في وقتٍ؛ وإن شُغلَ عنها في يومٍ فرغَ لها في يومٍ؛ وأن لا يسرعَ ويعجلَ فيندمَ ويوجلَ؛ فربّما عجلَ المرءُ على نفسه بإخراجِ كتابٍ عن يده، ثم رامَه فتعذرَ عليه مرأته،

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) (حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد) (ص ٥١).

وابتغى إليه وصولاً، فلم يجد إليه سبيلاً؛ فأتبعه ذلك وأنصبه، وأقلقه طويلاً وأرقه<sup>(١)</sup>.

قال أبو إسحاق: (إنَّ الكُتْبَ لا تُحْيِي الموتى، ولا تُحوِّلُ الأحمقَ عاقلاً، ولا البليدَ ذكياً، ولكنَّ الكُتْبَ تشحذُ وتفثقُ، وترهفُ وتشفِي، ومَن أرادَ أنْ يعلمَ كلَّ شيءٍ فينبغي لأهله أن يداووه، فإنَّ ذلكَ إنَّما تصوِّرُ له بشيءٍ اعتراه!

فمَن كان ذكياً حافظاً فليقصدْ إلى شيئين، وإلى ثلاثة أشياء، ولا يترعْ عن الدرسِ والمطارحةِ، ولا يدعْ أن يمرَّ على سمعه، وعلى بصره، وعلى ذهنه ما قدرَ عليه من سائرِ الأصنافِ، فيكونَ عالماً بخواصِّ، ويكونَ غيرَ غفلٍ من سائرٍ ما يجري فيه الناسُ، ويخوضون فيه)<sup>(٢)</sup>.

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ: (لا يزالُ الرجلُ عالماً ما تعلَّم، فإذا تركَ التعلُّمَ، وظنَّ أنَّه قد استغنى واكتفى بما عنده، فهو أجهلُ ما يكونُ)<sup>(٣)</sup>.

وقال ابنُ الجوزيِّ: (أمَّا العالمُ فلا أقولُ له: اشبعْ من العلمِ، ولا اقتصرْ على بعضه. بل أقولُ له: قدِّمِ المهمَّ؛ فإنَّ العاقلَ من قدرَ عمره وعملَ بمقتضاه، وإن كان لا سبيلَ إلى العلمِ بمقدارِ العمرِ، غيرَ أنَّه يَبْنِي على الأغلبِ، فإنَّ وصلَ فقد أعدَّ لكلِّ مرحلةٍ زاداً، وإن ماتَ قبلَ الوصولِ فنيتهُ تسلكُ به. فإذا علمَ العاقلُ أنَّ العمرَ قصيرٌ، وأنَّ العلمَ كثيرٌ،

(١) (تقييد العلم، للخطيب البغدادي، بتصرف) (ص ١٣٦ - ١٣٧).

(٢) (الحيوان، للجاحظ) (١/٥٩، ٦٠).

(٣) (تذكرة السامع والمتكلم، لابن جماعة) (ص ٢٨).



فقيحٌ بالعقلِ الطالبِ لكمالِ الفضائلِ أن يتشاغلَ مثلاً بسماعِ الحديثِ  
ونسخه ليُحصَلَ كلُّ طريقٍ، وكلُّ روايةٍ، وكلُّ غريبٍ. وهذا لا يفرغُ من  
مقصوده منه في خمسينَ سنةً خصوصاً إن تشاغلَ بالنسخِ، ثم لا يحفظ  
القرآنَ، أو يتشاغلَ بعلومِ القرآنِ ولا يعرفَ الحديثَ، أو بالخلافِ في الفقهِ  
ولا يعرفَ النقلَ الذي عليه مدارُ المسألة<sup>(١)</sup>.



(١) (صيد الخاطر، لابن الجوزي) (ص ١٦٨).

## المصادر والمراجع

١. أجد العلوم، لصديق حسن خان القنوجي، ط ١٣٠٧هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
٢. إبطال الحيل، لعبيد الله بن محمد العُكْبَرِي، المعروف بابن بَطَّة، تحقيق: زهير الشاويش، ط ٣، المكتب الإسلامي.
٣. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي، ط ١، ١٤٠٩، دار الكتب العلمية بيروت.
٤. إتهامات لا تثبت، لسليمان بن صالح الخراشي، ط ١، ١٤٢٥، مكتبة الرشيد بالرياض.
٥. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط ١، ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة بيروت.
٦. أخلاق العلماء، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، اعتنى به: دكتور أحمد حاج محمد عثمان، ط ١، ١٤٢٦، أضواء السلف بالرياض.
٧. آداب الشافعي ومناقبه، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: عبدالغني عبد الخالق، ط ٢، ١٤١٣ هـ، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٨. الآداب الشرعية، لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيّام، ط ١، ١٤١٦، مؤسسة الرسالة بيروت.
٩. أدب الدنيا والدين، لعلي بن محمد بن حبيب الماوردي، ط ١، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
١٠. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لأبي حفص عمر بن علي البزار، ط ٣، ١٤٠٠، المكتب الإسلامي بيروت.
١١. اقتضاء العلم العمل، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٤، ١٣٩٧، المكتب الإسلامي بيروت.

١٢. إنباه الرواة على أنباء النحاة، لعلي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، ١٤٠٦هـ، دار الفكر العربي بالقاهرة - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.
١٣. أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع عشر الهجري، للدكتور عابد سليمان المشوخي، ط ١٤١٤، مكتبة الملك فهد الوطنية بالسعودية.
١٤. بدائع الفوائد، لأبي عبدالله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: معروف زريق، ومحمد وهيبي، وعلي بلطه جي، ط ١، ١٤١٤، دار الخير بيروت.
١٥. بستان العارفين، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار، مكتبة دار الدعوة بحلب.
١٦. البلدانيات، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسام بن محمد القطان، ط ١، ١٤٢٢، دار العطاء بالسعودية.
١٧. بيان فضل علم السلف على علم الخلف، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ط ١، ١٤١٦، دار البشائر الإسلامية بيروت.
١٨. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، ط ١، ١٩٦٨، دار صعب بيروت.
١٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، ط ١، ١٤٠٧، دار الكتاب العربي بيروت.
٢٠. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت.
٢١. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، ١٤١٦، دار الفكر بيروت.

٢٢. التأصيل في طلب العلم، لمحمد عمر بازمول (محاضرة)، مأخوذة من الشبكة العنكبوتية).
٢٣. تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لعلي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، ط ٣، ١٤٠٤، دار الكتاب العربي ببيروت.
٢٤. التحبير في المعجم الكبير، لأبي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني التميمي، تحقيق: منيرة ناجي سالم، ط ١، رئاسة ديوان الأوقاف ببغداد.
٢٥. تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، لعبد الله بن عسيان، ط ١٤١٥، مكتبة الملك فهد الوطنية بالسعودية.
٢٦. تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٢٧. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لبدر الدين بن جماعة الكفائي، دار الكتب العلمية ببيروت.
٢٨. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض بن موسى، تحقيق: سعيد بن أحمد أعراب، ١٤٠٢هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.
٢٩. التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ليكر بن عبد الله أبو زيد، ط ١، ١٤١٨هـ، دار الراية بالرياض.
٣٠. تعليم المتعلم طريق التعلم، برهان الدين الزرنوجي، ط ١٣٠٧، المطبعة العثمانية بمصر.
٣١. تقييد العلم، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف العشي، ط ٢، ١٩٧٤، دار إحياء السنة النبوية.
٣٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، مجموعة محققين، مطابع الشويخ - تطوان.

٣٣. تنوير الطلاب بتحرير أسباب العلم من كلام رب الأرباب، لأبي القاسم المقدسي (رسالة من الشبكة العنكبوتية).
٣٤. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط ٤، ١٤١٩، دار ابن الجوزي بالدمام.
٣٥. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد بن عجاج الخطيب، ط ١، ١٤١٢، مؤسسة الرسالة بيروت.
٣٦. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبدالقادر بن محمد بن أبي الوفاء، تحقيق: عبدالفتاح بن محمد الحلو، ط ١٣٩٨، دار العلوم بالرياض.
٣٧. الجواهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، ليوسف بن الحسن بن عبدالمهدي، تحقيق: عبد الرحمن بن عثيمين، ط ١، ١٤٠٧، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٣٨. الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ط ١، ١٤٠٥، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٩. الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق: الدكتور مروان قباني، ط ١، ١٤٠٦، المكتب الإسلامي.
٤٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، دار الكتب العلمية بيروت.
٤١. حلية طالب العلم، لبكر بن عبدالله أبو زيد، ط ١، ١٤٠٨، دار الراية بالرياض.
٤٢. الحيوان، لعمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ١٤١٦، دار الجيل بيروت.
٤٣. الذيل على طبقات الحنابلة، لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة بيروت.

٤٤. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لمحمد بن محمد بن عبدالمملك المراكشي، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة ببيروت.
٤٥. الرحلة في طلب الحديث، لأحمد بن علي البغدادي، (من مجموعة الرسائل الكمالية في الحديث) مكتبة المعارف بالطائف.
٤٦. الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي، ومحمود شكري الألوسي، جمع وتحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ط ١، ١٤٢٢، دار البشائر الإسلامية ببيروت.
٤٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية ببيروت.
٤٨. زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، ط ١٣، ١٤٠٦، مؤسسة الرسالة ببيروت.
٤٩. سبل السلام شرح بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ط ٤، ١٣٧٩، مكتبة مصطفى الباي الحلبي.
٥٠. السبل المرضية لطلب العلوم الشرعية، أحمد بن سالم المصري، ط ١، ١٤٢٦، دار الكيان بالرياض.
٥١. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبد الله بن حميد النجدي المكي، تحقيق: بكر أبو زيد وعبدالرحمن العثيمين، ط ١، ١٤١٦، مؤسسة الرسالة ببيروت.
٥٢. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
٥٣. شرح ديوان المتنبّي، لعبد الرحمن البرقوقي، ط ٢، ١٤٠٧، دار الكتاب العربي ببيروت.

٥٤. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، لحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، تحقيق: عبد العزيز أحمد، ط ١، ١٣٨٣، مكتبة مصطفى الباي الحلبي بمصر.
٥٥. شرف أصحاب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور: محمد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية.
٥٦. صفة الصفوة، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ط ٢، ١٣٩٩، دار المعرفة بيروت.
٥٧. صفة الفتوى والمفتي والمستفي، لأحمد بن حمدان الحراني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، ١٣٩٤، المكتب الإسلامي بيروت.
٥٨. صفحات مشرقة في عبادات العلماء، للدكتور عبد الكريم الخضير (محاضرة).
٥٩. صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، لعبدالفتاح أبو غدة، ط ٣، ١٤١٣، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب.
٦٠. صلاح الأمة في علو الهمة، لسيد حسين العفاني، ط ١، ١٤١٧، مؤسسة الرسالة بيروت.
٦١. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمائته من الإسقاط والسقط، لابن الصلاح أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، ط ٢، ١٤٠٨، دار الغرب الإسلامي بيروت.
٦٢. صيد الخاطر، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، المكتبة العلمية بيروت.
٦٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار مكتبة الحياة بيروت.
٦٤. الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، لجعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي، تحقيق: سعد محمد حسن - طه الحاجري، ١٩٦١م، الدار المصرية للتأليف و الترجمة.

٦٥. طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي السبكي (الابن)، تحقيق: الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو - الدكتور محمود الطنحاحي، ط ١، ١٣٨٨، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
٦٦. الطبقات الكبرى، لأبي عبدالله محمد بن سعد البصري، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٦٨م، دار صادر بيروت.
٦٧. طبقات الحنابلة، لمحمد بن محمد بن الفراء أبي يعلى، دار المعرفة بيروت.
٦٨. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد بن أحمد بن عبدالمهدي، تحقيق: طلعت فؤاد الحلواني، ط ١، ١٤٢٢، الفاروق الحديثة بالقاهرة.
٦٩. علل الحديث، لأبي محمد عبدالرحمن الرازي بن أبي حاتم، تحقيق: نشأت بن كمال المصري، ط ١، ١٤٢٣، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر بالقاهرة.
٧٠. عوائد الطلب، لعبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ط ١، ١٤٢٢، مكتبة الرشد بالرياض.
٧١. الفروق في اللغة، لأبي هلال الحسن بن عبدالله العسكري، تحقيق: جمال عبدالغني مدغمش، ط ١، ١٤٢٢، مؤسسة الرسالة.
٧٢. فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: مروان العطية - محسن خرابة - وفاء تقي الدين، ط ١، ١٤٢٠، دار ابن كثير.
٧٣. الفلاحة والمفلوكون، لأحمد بن علي الدلجي، ط ١، ١٤١٣، دار الكتب العلمية بيروت.
٧٤. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات، لعبدالحفي بن عبدالكبير الكتاني، ١٤٠٦، دار الغرب الإسلامي بيروت.
٧٥. الفوائد، لمحمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير بن محمد عيون، ط ١، ١٤٠٧، مكتبة دار البيان بالكويت .



٧٦. في سبيل الإصلاح، لعلي الطنطاوي ، ط ٤ ، دار المنارة بالسعودية.
٧٧. الكتاب الإسلامي المعاصر - نظرات نقدية، لأحمد بن عبدالرحمن الصويان، ط ١، ١٤١٦، دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض.
٧٨. كتاب العلم، لأبي خيثمة زهير بن حرب، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، ١٤٠٣، المكتب الإسلامي ببيروت.
٧٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، دار العلوم الحديثة ببيروت.
٨٠. كيف يبني طالب العلم مكتبته، للدكتور عبد الكريم الخضير (محاضرة).
٨١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، ط ١، دار صادر.
٨٢. لفظة الكبد إلى نصيحة الولد، لعبدالرحمن بن علي، ابن الجوزي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، ط ١، ١٤١٢، مكتبة البخاري بمصر.
٨٣. المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: مشهور بن حسن، ط ١٤١٩، جمعية التربية الإسلامية بالبحرين، ودار ابن حزم ببيروت.
٨٤. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد بن تيمية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، ط ٣، ١٤٢٦، دار الوفاء.
٨٥. المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.
٨٦. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، لعبدالرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: طلعت فؤاد الحلواني، ط ١، ١٤٢٣هـ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر بالقاهرة.
٨٧. المحاسن والأضداد، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ط ٢، ١٤١٥، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٨٨. المحاسن والمساوي، لإبراهيم بن محمد البيهقي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة.
٨٩. مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: علي حسن الحلبي، ط ١، ١٤٠٦، دار فيحاء، ودار عمار بالأردن.
٩٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لشمس الدين محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ٢، ١٣٩٣، دار الكتاب العربي بيروت.
٩١. المدخل إلى السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت.
٩٢. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن أحمد بن بدران، تحقيق: محمد أمين ضناوي، ط ١، ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
٩٣. مزالق في التحقيق، لعبد الله الشمرائي، (مقال من الشبكة العنكبوتية).
٩٤. المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، عناية عبد السلام بن محمد علوش، ط ٢، ١٤٢٧، دار المعرفة بيروت.
٩٥. المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية (مجد الدين عبد السلام بن تيمية، وعبد الحليم بن تيمية، وأحمد بن عبد الحليم)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي.
٩٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي، المطبعة الميمنية.
٩٧. مطالع البدور في منازل السرور، لعلاء الدين علي بن عبدالله البهائي الغزولي، ط ١، ١٢٩٩، مطبعة إدارة الوطن بمصر.
٩٨. معجم الأدباء، لياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، ١٩٩٣ م، دار الغرب الإسلامي بيروت.

٩٩. معجم شيوخ الذهبي، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: روحية عبدالرحمن السيوفي، ط ١، ١٤١٠، دار الكتب العلمية بيروت.
١٠٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، ط ١، ١٤١٦، دار ابن عفان بالخير.
١٠١. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر.
١٠٢. من هدي السلف في طلب العلم، للدكتور محمد بن مطر الزهراني، ط ١، ١٤١٨، دار ابن عفان بالخير.
١٠٣. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٠٢، دار الآفاق الجديدة بيروت.
١٠٤. مناهج اللغويين في تقرير العقيدة، للدكتور محمد الشيخ عليو، ط ١، ١٤٢٧، مكتبة دار المنهاج بالرياض.
١٠٥. المثور في القواعد، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق الدكتور: تيسير فائق أحمد محمود، ط ٢، ١٤٠٥، طباعة شركة دار الكويت للصحافة.
١٠٦. الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، ط ١، ١٤١٧، دار ابن عفان بالخير.
١٠٧. الموجز في تراجم البلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، لمحمود بن محمد الطناحي، ط ١، ١٤٠٦، مكتبة الخانجي بمصر.
١٠٨. نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية، للشريف حاتم بن عارف العوني، ط ١، ١٤١٨، دار عالم الفوائد بمكة.
١٠٩. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقرئ، ١٤٠٨ هـ، دار الفكر بيروت.

١١٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان،  
تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت.



## فهرس الموضوعات

٥	مقدمة.....
٧	أولاً: إضاءات في فضل العلم وأهله.....
٧	١- فضل العلم وشرف أهله.....
٩	٢- حلاوة العلم ولذته.....
١١	ثانياً: إضاءات تربوية.....
١١	١- أخلص، تُخلص.....
١٣	٢- التزكية أولاً.....
١٤	٣- صدق التوجه إلى الله.....
١٤	٤- العمل بالعلم.....
١٦	❖ من علامات العلم النافع.....
١٧	٥- الأدب قبل الطلب.....
١٨	❖ من خلق الطالب وسمته.....
١٩	❖ من آداب طالب العلم.....
٢٠	ثالثاً: إضاءات في أول الطريق.....
٢٠	١- سبب ركائز أساسية.....
٢١	٢- من سار على درب وصل.....
٢١	٣- التلقي من أفواه العلماء.....
٢٣	٤- انظر.. عمن تأخذ دينك؟.....
٢٤	٥- اتباع خير القرون.....
٢٦	❖ طبقات العلم.....
٢٨	٦- الزم قولاً.. ولا تتشوش.....
٢٨	٧- خطوة.. خطوة.....
٢٩	❖ خذ بقدر ما تطيق.....
٣٠	٨- ابدأ بالأولى، فالأولى.....
٣١	٩- مراحل التعلم.....
٣١	١٠- أدوات تحصيل العلم.....
٣١	أ- السماع والكتابة.....

- ٣٣.....❖ الكتب الجامعة للفوائد.....
- ٣٣.....ب- الحفظ.....
- ٣٥.....❖ للحفظ طريقتان ولكلٌ منهما مميزاتٌها وعيوبٌها.....
- ٣٦.....❖ من الأسباب التي يُستعانُ بها على الحفظ.....
- ٣٨.....❖ سعة حفظ بعض العلماء.....
- ٣٨.....ج- المذاكرة.....
- ٤٠.....❖ الوسائلُ المعينةُ لطالبِ العلم.....
- ٤١.....١١- الاهتمام بعلم الحديث.....
- ٤١.....❖ أهمية تعلم علم الحديث.....
- ٤٣.....- الحديثُ بينَ الروايةِ والدرايةِ.....
- ٤٤.....- الحديثُ بين حفظ الرواية والرعاية.....
- ٤٤.....١٢- الأدب مع المعلم.....
- ٤٦.....❖ بم تكون القدوة؟.....
- ٤٧.....رابعاً: إضاءات للثبات على الطريق.....
- ٤٧.....١- من عوائق طلب العلم.....
- ٤٩.....٢- احذرْ هذه لآفات.....
- ٥٠.....٣- كنْ عاليَ الهمة.....
- ٥٣.....٤- تحلَّ بالصبر وقوة التحمل.....
- ٥٦.....٥- احرصْ ... كلَّ الحرص، على العلم.....
- ٦٠.....٦- تعرّف على مرتبتك في العلم.....
- ٦١.....٧- عليك بالمداومة والاستمرار.....
- ٦٢.....٨- ارحلْ في طلب العلم.....
- ٦٣.....٩- لا تستنكف عن الاستفادة ممنْ دوتك.....
- ٦٤.....خامساً: إضاءات حول الكتب.....
- ٦٤.....١- أهميَّة الكتاب.....
- ٦٨.....٢- عشقٌ عجيبٌ للكتب.....
- ٧٥.....❖ من الذين عُتوا بجمع الكتب.....
- ٧٦.....٣- شراءُ الكتب.....

- ٧٨.....❖ حول اختيار الطبعات.....
- ٧٩.....٤- مصطلحات متعلقة بعناوين الكتب.....
- ٨٠.....٥- القراءة.....
- ٨٠.....❖ الوصول للسرعة المناسبة في القراءة.....
- ٨٢.....❖ أمور تساعد على القراءة.....
- ٨٣.....❖ آفات القراءة.....
- ٨٣.....٦- مطالعة الكتب.....
- ٨٧.....٧- استعارة الكتب.....
- ٨٩.....٨- التأدب مع الكتب.....
- ٩٠.....سادساً: إضاءات عن ورثة الأنبياء.....
- ٩٠.....١- حقيقة العالم.....
- ٩١.....٢- من صفات العلماء.....
- ٩١.....أ- خشية الله.....
- ٩٢.....ب- شدة الانشغال بالعلم.....
- ٩٤.....ج- عمق الفهم.....
- ٩٤.....د- الانضباط في التعامل مع المخالف.....
- ٩٥.....٣- أحوال العلماء الربانيين.....
- ٩٧.....٤- من بيوت أهل العلم.....
- ٩٧.....❖ آل قدامة.....
- ٩٩.....❖ الألويسيون.....
- ٩٩.....❖ الغماريون.....
- ١٠١.....٥- فائدة.....
- ١٠١.....❖ عقيدة بعض أئمة اللغة.....
- ١٠٣.....سابعاً: إضاءات على أنواع العلوم.....
- ١٠٣.....١- أنواع العلوم.....
- ١٠٣.....❖ من ناحية النفع.....
- ١٠٤.....❖ من ناحية الغاية والوسيلة.....
- ١٠٥.....٢- أهمية التخصص في فن معين.....

- ثامناً: إضاءات على التصنيف والتحقيق..... ١٠٦
- ١- التصنيفُ ..... ١٠٦
- ❖ علوُّ الهمة في التصنيف..... ١٠٦
- ❖ حول منهج التأليف..... ١٠٧
- ❖ أغراضُ التأليف..... ١٠٨
- ❖ قالَ الزركشيُّ..... ١٠٩
- ٢- تنبيهاتٌ ومحاذيرُ تتعلقُ بالتحقيق..... ١١٠
- ❖ مجافأةُ بعض كتب التراث المنشورة لمقتضيات التحقيق..... ١١٠
- ❖ الإحالة إلى الفرع دون الأصل..... ١١٠
- ❖ إتقالُ الكتب بالحواشي..... ١١١
- ❖ المشاغبة في التعليق والتعقيب..... ١١١
- ❖ عدمُ الاهتمام بمخطوطات الكتاب..... ١١٢
- ❖ عدمُ ثقةَ المحقق في عمله..... ١١٢
- ❖ المتاجرةُ بعناوينَ جديدةٍ للكتب..... ١١٣
- ٣- أسبابُ إعادة تحقيق كتاب سبق تحقيقه..... ١١٣
- ٤- من أئمةَ المحققين..... ١١٥
- ٥- فائدةُ..... ١١٦
- ❖ الفرقُ بين التأليف والتصنيف..... ١١٦
- تاسعاً: إضاءات على التعليم..... ١١٧
- ١- التعلُّيمُ بينَ الأمس واليوم..... ١١٧
- ٢- آدابُ المُعلِّم..... ١١٨
- ❖ من آدابِ المُعلِّم..... ١١٨
- ❖ تَوْفُّرُ الأهلِيَّة..... ١١٨
- ❖ عَدَمُ القَوْلِ عَلَى الله بلا علم..... ١١٩
- ❖ مَعْرِفَةُ طُرُقِ التعلِّيم..... ١٢١
- ٣- من مهمَّاتِ التعليم..... ١٢٢
- أ- الاهتمامُ بأعمال القلوب..... ١٢٢
- ب- معرفةُ كيفيةِ طرح الشُّبه والإجابة عنها..... ١٢٣



- ج- التوسط في التعليم.....١٢٣
- عاشراً: إضاءات في آخر الطريق.....١٢٤
- ١- كنْ عالماً ربانئياً .....١٢٤
- ٢- تجرّد من الدنيا .....١٢٤
- ٣- ارفع قدرَ العلم.....١٢٥
- ٤- أدّ زكاةَ علمك.....١٢٥
- ٥- وبعدُ.. فهل تنتهي المسيرة، وتتوقفُ الخطواتُ؟.....١٢٦
- المصادر والمراجع .....١٢٩
- فهرس الموضوعات .....١٤٠